دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القران

دراسة قصة موسى وفرعون عند المكي الناصري من خلال تفسيره التيسير في أحاديث التفسير دراسة موضوعية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
بقسم التفسير وعلوم القرآن
للعام الجامعي (فبراير 2011م/1432ه)

إعداد الطالب:
عبد الله أمتوني
الرقم الجامعي / MTF111AK215
إشراف فضيلة الدكتور:
خالد نبوي سليمان حجاج
أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب (عبدالله امتونى) من الآتية أسماؤهم:

المشرف

د\خالد نبوى سليمان حجاج

الممتحن الداخلي

د\ أحمد امام

الممتحن الخارجى

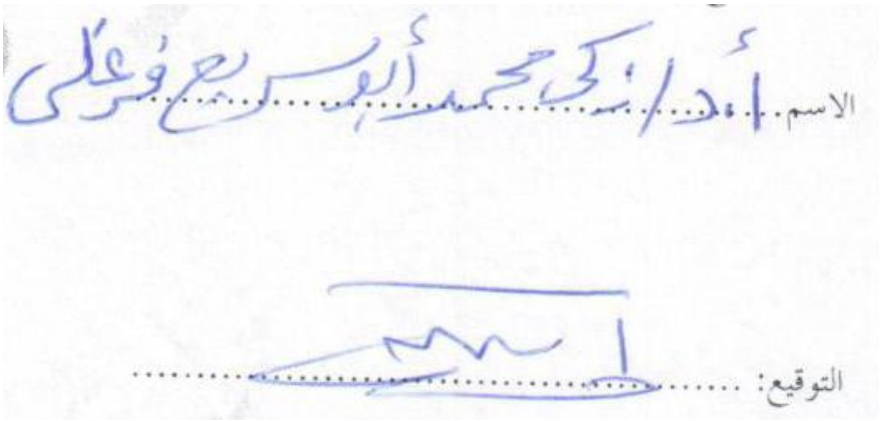

أحمد محمد عبد العاطي

الرئيس

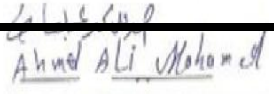

APPROVAL PAGE

The dissertation of (abdallah matouny) has been approved by the following:

_____

Supervisor

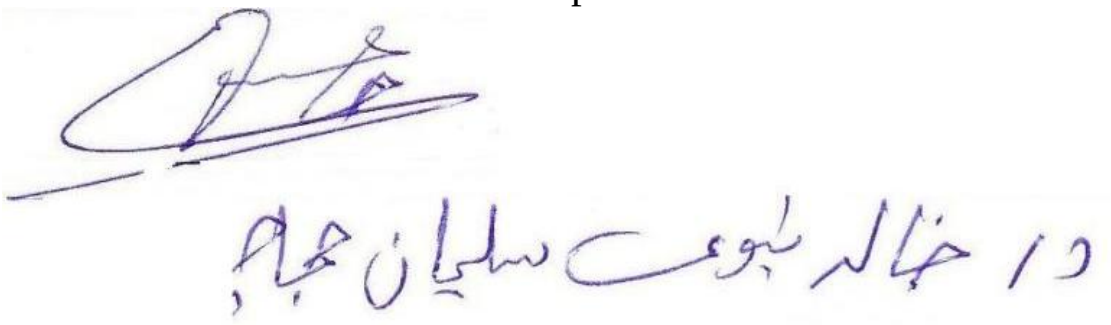

_____

Internal Examiner

_____

External Examiner

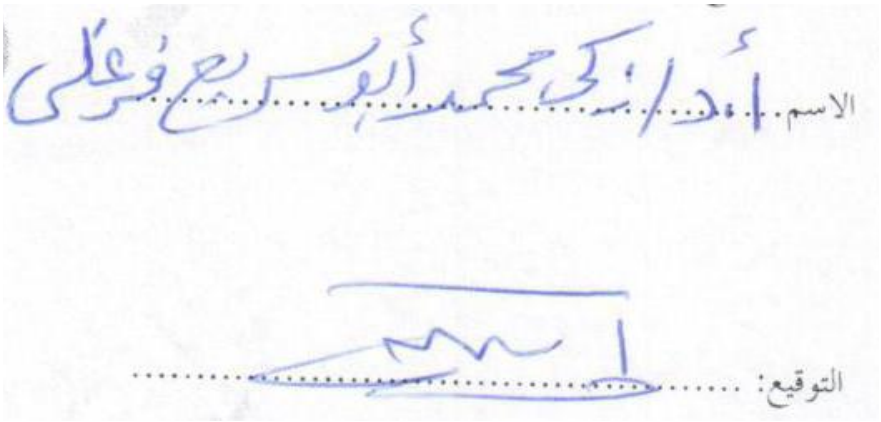

_____

Chairman

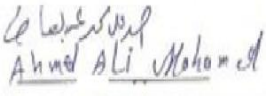

إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: عبدالله امتونى

التوقيع:

التاريخ:

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation, except where otherwise stated.

Student's name: abdallah matouny

Signature:

Date:

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع 2009 © محفوظة لـــ (عبدالله امتونى)

عنوان البحث: " **دراسة قصة موسى وفرعون عند المكي الناصري من خلال تفسيره التيسير في أحاديث التفسير دراسة موضوعية**

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

1. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
2. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.
3. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: عبدالله امتونى

التوقيع _____ التاريخ _____

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، فلقد عشت مع هذا البحث وقسمته إلى : (مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة).

التمهيد : ذكرت فيه ، تعريف القصة من جهة اللغة والاصطلاح ، وما المقصود بها في القرآن الكريم . تناولت ذكر الفرق بين القصة الأدبية والقرآنية، من حيث الأسلوب والعرض ، ثم ذكرت سبب تكرار بعض القصص في القرآن، وما المغزى من ذلك، وتوضيح دلالاته البيانية والبلاغية والإعجازية . في الفصل الأول ، ترجمت للعلامة المكي الناصري وذكرت نسبه ومولده ، شيوخه وتلامذته ، الحياة الثقافية ، ومراحل طلبه للعلم ، والحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية ، وبعض مؤلفاتهومنهجه في التفسير ، في الفصل الثاني : ذكرت قصة موسى وفرعون شرح وتحليل ، وذكرت نسب ومولد موسى عليه السلام والمعجزات .و أمه وزوجته عليه السلام ثم ذكرت تأليه فرعون لنفسه،ومظاهره ، ، ثم بينت فرعون موسى عليه السلام ، وموقف أم

موسى عليه السلام وأخته من تربية موسى ، وفي الفصل الثالث : فقه الواقع عند موسى عليه السلام بينت فيه خروج موسى عليه السلام للمجتمع وفيه تـــجربتان له ، ثم رحلات موسى عليه السلام وفي الفصل الرابع : تثبيت الله تعالى لموسى أمام فرعون ، وفيه كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام ، و الاصطفاء للنبوة والرسالة وما تلاها من أمور ،ثم ذكرت تقوية موسى عليه السلام .بمعجزتين ، و أهداف المعجزتين ، ثم ذكرت موقف فرعون وملئه من موسى عليه السلام وموقفه منهم ، ثم الأمر بالتوجه إلى رأس الطغيان ، مواجهة موسى للسحرة، وفي الفصل الخامس : ذكرت المقومات اللازمة لمواجهة موسى عليه السلام لفرعون و العلاقة بين شرح الصدر وقوة التفكير ، ثم العلاقة بين قوة التفكير والقدرة الكلامية ، وبينت إعانة هارون لموسى في مواجهة فرعون .ثم حوار موسى مع فرعون ونتائجه .

وفي الفصل السادس : ذكرت العاقبة الوخيمة لفرعون وملئه ، وجهاز الحكم الفرعوني وأهميته ودور السحرة فيه ،ثم تطلع القوم لإظهار الحق بين موسى وسحرة فرعون ،ثم عزم فرعون على قتل موسى وقومه ، والعقوبة السماوية لفرعون وآله ، وغرق فرعون وآله ، وفي الفصل السابع : ذكرت الدروس والعبر المستفادة من قصة موسى عليه السلام وفرعون ،وذكرت أن القلوب بيد الله ، وأن الإمامة تنال بالصبر والصلاة ،وأن العلو و الاستكبار في الأرض نهاية مؤلمة ،وبينت أن الدعاء وصدق اللجوء إلى الله منجيان للعبد ، ثم الخاتمة ، ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث

ثم بعض المقترحات التي رأيتها ذات أهمية بالغة ولا غنى عنها ، والله الموفق لكل ما فيه خير.

Research Summary

Praise be to Allah, I have lived with this search apportioned to: ((Introduction, smoothing, and seven chapters, and a conclusion.

Boot: I mentioned it, the definition of the story of the language and terminology, and are intended to in the Holy Quran. Dealt mentioned the difference between literary and Quranic story, in terms of style and presentation, and then dealt with as much brevity reason to repeat some of the stories in the Koran, and the significance of, and to clarify its graphical connotations and rhetorical and miraculous. In the first chapter, translated to mark Makki Naciri said lineage and birth, elderly and students, cultural life, and the stages of his request for information, and political life, and social, economic, and some of his, in the second quarter: According to the story of Moses and Pharaoh explanation and

analysis, reported ratios and generator Moses and miracles . and his mother and his wife peace be upon him and then said apotheosis Pharaoh himself, and manifestations, then showed Pharaoh Moses, and the position of the mother of Moses peace be upon him and his sister from the breeding of Moses, and in the third quarter: the jurisprudence of reality when Moses showed the exit Moses of society and the Two trials for him, then trips Moses In Chapter IV: Install God to Moses before Pharaoh, and the word of God with Moses, and selection of the prophecy and the message and the subsequent things, then stated strengthen Moses Bmadztin, and objectives of miracles provide, then According to the position of Pharaoh and his chiefs of Moses and his position them, then the command to go to top of tyranny, face Moussa magicians, and in Chapter V: You mentioned the necessary ingredients to meet Moses to Pharaoh and the relationship between the opening of the heart and the power of thinking, then the relationship between the power of thinking and the ability of words, subsidy showed Aaron to Moses in the face of Pharaoh. then Moses dialogue with Pharaoh and its .consequences

In Chapter VI: You mentioned the consequence of severe to Pharaoh and his chiefs, and a judgment Pharaonic and its importance and the role of witches, and then looked folk to show right between Moses and Pharaoh's magicians, then torque Pharaoh to kill Moses and his people,

and the penalty heavenly to Pharaoh and his family, and drowned Pharaoh and his family, and in Chapter VII: reported lessons learned from the story of Moses and Pharaoh, and said that the hearts in God's hands, and that the Imamate gain patience and prayer, and height and arrogance in the land end of the painful, and showed that prayer and sincerity to resort to God Mngjian for Abdul, then the conclusion, said the most important findings to search through, and then some of the recommendations that I've seen extremely important and indispensable, and God bless all that is good

شكر وتقدير

قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل 40/27 . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) [1] ، فبناء على هذين المبدأين العظيمين يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وفائق الاحترام إلى فضيلة الدكتور: خالد نبوي سليمان حجاج، الذي أشرف على بحثي هذا، وكان له الفضل بعد الله تعالى في اختيار العنوان ؛ والحصول على المحتوى الملائم لهذه الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء وتقبل منه وجعل ذلك في موازين

(1) حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ " ، إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير الربيع ابن مسلم –وهو الجمحي– فمن رجال مسلم. عبد الرحمن: هو ابن مهدي، ومحمد بن زياد: هو القرشي الجمحي مولاهم ، وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" 22/9 من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبية، بهذا الإسناد ،باب من لم يشكر الناس. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط، الرابعة، 1418 هـ – 1997 م، 1 /99.

حسناته.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والثناء العطر للأستاذ الدكتور: زكي أبو سريع أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة – جامعة الأزهر ،والدكتور: أحمد إمام الأستاذ المساعد بقسم (التفسير وعلوم القرآن) بجامعة المدينة العالمية، اللذان ناقشاني في الرسالة وبينا لي الملاحظات والتعديلات لهذه الرسالة فجزاهم الله عني خيرا كما أتوجه بالشكر أيضا إلى القائميـــن الساهرين على هذه الجامعة – جامعة المدينة العالمية – الذيـــن سهلوا أتاحوا لـــي الفرصة لإكمال بـــحثي فجزاهم الله عني خيرا وعلى ما يقدمونه للعلم وطلابه ، وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ الأحزاب 71.70/33 .

أما بعد،

قال تعالى في كتابه الكريـــم : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّـــنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء 4 / 165.164.163.

يـــخبر الحق سبحانه وتعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم والأخبار الصادقة ما أوحى به إلى هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد أورد منها ما يأتي:

منها: أن مـــحمداً صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من

المرسليـــن العدد الكثير والجم الغفير، فاستغراب رسالته بل وإنكارها لا وجه له إلا الجهل والعناد.

ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم أوحى إليه من الأصول والعدل مثل ما أوحى إليهم من الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا.

ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم من جنس هؤلاء الرسل، لأن دعوته هي دعوتهم، فأخلاقهم متفقة، ومصدرهم واحد، وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالـــمجهولين، ولا بالكذابيـــن ولا بالملوك الظالمين.

ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم من التنويه بـــهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالـــهم، ما يزداد به المؤمن إيـــمانا بـــهم، ومـــحبة لهم، واقتداء بـــهديهم، واستنانا بسنتهم ومعرفةً بـــحقوقهم، ويكون ذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ الصافات 37 / 79، وقوله تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ... ﴾ الصافات 37 / 109، وقوله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ... ﴾ الصافات 37 / 120، وقوله تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَـــجْزِي الْمُحْسِنِين... ﴾ الصافات 37 / 131.130. فكل مـــحسن له من الثناء الحسن بيـــن الأنام بـــحسب إحسانه، وبحسب جميل خلقه وجمال وروعة ما جاء به، والرسل صلوات الله عليهم – خصوصا هؤلاء الـــمسمون– في الـــمرتبة العليا من الإحسان، والدرجات العلا من الكمال، والمكانة العالية من الأخلاق، ولـــما ذكر الحق تبارك و تعالى اشتـــراكهم في تنزل وحيه؛ ذكر

تـــخصيص بعضهم فذكر أنه آتى داود الزبور –وهو الكتاب الذي خص الله تعالى به داود عليه الصلاة والسلام– لفضله وشرفه وعلو مترلته.

وأنه كلم موسى تكليما أي مشافهة منه إليه لا بواسطة، حتى اشتهر بـــهذا عند العالـــمين فيقال: "موسى كليم الرحمن".

"وذكر عز وجل أن الرسل –صلوات الله عليهم وسلامه–، منهم من قصه الله على رسوله، ومنهم من لـــم يقصصه عليه قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء 4/ 164، وهذا يدل على كثرتـــهم وأن الله أرسلهم – صلوات الله عليهم وسلامه – مبشرين لـــمن أطاع الله واهتدى بهداه واتبعهم؛ بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومنذرين من عصى الله وزاغ عن طريقه وهداه؛ وخالفهم بشقاوة الدارين.

وحتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا ﴿ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ المائدة 5 / 19 ، إذا لم يـــبق للخَلْق على الله حجة لإرساله عز وجل الرسل تـــترى يـــبـــيـــنون للناس أمور دينهم ومراضي ربـــهم؛ ومساخطه وطرق جنته وناره، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه، وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته وتمام عدله أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وذلك

أيضا من فضله وإحسانه" [1].

قال ابن القيم [2] : " فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة الخلق وحاجتهم إلى الرسل فوقها بكثير "[3]. كذلك فمن أفضل العلوم الشرعية علم التفسير وعلومه، كيف لا ؟ وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)" .[4]

---

(1) السعدي : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م ، 1/ 214 .

(2) ابن قيم الجوزية (691 - 751 هـ = 1292 - 1350 م) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألّف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) . و (كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء) و (شرح الشروط العمرية) و (تحفة المودود بأحكام المولود) . و (مفتاح دار السعادة) و (زاد المعاد) و (مدارج السالكين) و (رسالة في اختيارات تقي الدين ابن تيمية) و (الروح) ولمحمد أويس الندوي كتاب (التفسير القيم، للإمام ابن القيم – ط) استخرجه من مؤلفاته :الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) (الأعلام) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م 6 /56

(3) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت–الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م1/ 68

(4) الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى: 241هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق:

والعلماء يقولون شرف العلم بشرف المعلوم.. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [1] .

ولا شك أن تعلم وتعليم القرآن يشمل تفسيره وبيانه، وأن من الفقه في الدين وعلم التأويل، علم التفسير وعلومه، وقد فسر العلماء معنى كلمة التأويل بأنها التفسير في أحد أوجُه تفسيرها.

ولما كان علم التفسير بهذه المنزلة العظيمة، أحببت أن يكون موضوع دراستي منه في رسالة الماجستير هو: قصة موسى عليه السلام لأنـــها من أجـــمل القصص ، إذ فيها عبر وفوائد كثيرة لقارئها ولمن تدبرها أولا ، ولكل من طغى وتـــجبـــر مثل فرعون ثانيا ، فجزاؤه في الدنيا الهلاك وفـــي الآخرة جهنم خالدا فيها. وفيها كذلك عبرة لكل صبار شكور؛ مثل من ذكرن ضمن خير نساء الكون كآسيا بنت مزاحم (2) ، وأم موسى عليه

شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 4 / 225، رقمه:2397 ، الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق: حسام الدين القدسي ، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة 1414 هـ، 1994 م 276/9 قال: قلت: هو في الصحيح غير قوله: " وعلمه التأويل ".

رواه أحمد، والطبراني بأسانيد، وله عند البزار، والطبراني: " اللهم علمه تأويل القرآن ".ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح .

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ط، الأولى، 1422هـ، 6 / 192، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، تحت رقم: 5027. الترمذي : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ،الجامع الكبير – سنن الترمذي ،تحقيق: بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت 1998 م 23/5 قال : هذا حديث حسن صحيح.

(2) " آسية " بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف. وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى. وقيل كانت عمته، حكاه السهيلي : ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) ،الكامل في التاريخ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م ،150/1 : النسائي: أحمد بن شعيب بن علي أبو عبد الرحمن الخراساني، فضائل الصحابة، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى، 1405هـ ص:74. تاريخ دمشق، ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن

السلام (1) ، حيث كان جزاؤهن الجنة، وما ذاك إلا لصبرهن وتحملهن في ذات الإله كل الشدائد. وكما هو معلوم ومعروف فقد ذكرت قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم غير مرة، وفي كل مرة يتسم عرضها بنوع من البلاغة في الخطاب، ودقة في التصوير، وغاية في البيان، وأوجه من الإختصار والتطويل لا يخلو من إعجاز بياني بلاغي رائع يـــخلب ويـــجلب اللباب، ويسترعي الإنتباه. وأيضا من المعلوم بداهة أن هذه القصة قد نالت من الدراسة والعناية والتحليل ما فيه الكفاية عند المتقدمين والمتأخرين، لكن يبقى تبييـــن أوجه الاختلاف بين تلك الدراسات المتقدمة واللاحقة متباينا، لما تتسم به أو يطبع كل فترة من التاريخ بما يـــموج فيه من أحداث، وهو بدوره ينعكس على دارس هذه القصة. كما كان لـــهذه القصة أثرها فيما يكتب من القصص للنشء الصغار، حيث كتب فيها من كتب ليجلب إليه تلك الشريـــحة الكبيرة من الصبية الذين تستـــهويهم الأحاجي والحكايات، لكن هذه القصة ليست من هذا النوع لما اكتسته من صبغة ربانية ورعاية إلهية لطفل رضيع تقذف به أمه كارهة في اليم ، فيصطفيه ربه بعد ذلك بتقديره ولطفه نبيئا ورسولا إلى من تربى ونشأ في بيته وتحت كنفه وحدبه.

وبـــما أن الغالبية العظمى من المفسرين المتقدميـــن قد تعرضوا لقصة سيدنا موسى

هبة الله (المتوفى: 571هـــ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: 1415 هـــ - 1995 م.

(1) اسم أم موسى عليه السلام ذكر فيه العلماء عدة أقوال وكلها مأخوذة من الإسرائيليات، فقيل اسمها أيارخا ، وقيل أياذخت ، وقيل يوحاند ، وقيل بادونا، وليراجع في ذلك تفسير القرطبي وابن الجوزي والبغوي، وفتح الباري والبداية والنهاية والإتقان في علوم القرآن.

: الروضة الفيحاء في أعلام النساء، العمري ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب (المتوفى: بعد 1232هـــ)، تحقيق: رجاء السامرائي، طبعة: الدار العربية للموسوعات، 1987م، ص:6.

عليه السلام بالدراسة والتحليل، فخوفا من التكرار وترك الإضافة المتوخاة في البحوث الأكاديـــمية الرصينة الـــمبنية على التصور وعمق الطرح، اتجهت إلى مفسر لـــم يدرس في هذا الجانب، وهو العلامة: مـــحمد المكي الناصري المغربـــي –رحمه الله تعالى – ، مـــما يبيـــن منهجية هذا العالـــم الـــمعاصر في تناوله لهذه القصة، وكيفية عرضه لـــمضامينها ، مع معالجة ربطه مـــجريات أحداثها فيما كان يعيشه الأستاذ العلامة الناصري في تلك الحقبة من التاريخ الـــمعاصر للمملكة الـــمغربية خاصة ، ولـــما كان يعيشه العالـــم الإسلامي بوجه عام ، إذ كانت تلك الفترة فترة تستدعي الاهتمام وزيادة الـــجهد من أولـــي الأقلام البارعيـــن ، للتصدي للأحداث الجسام العظام التي كانت تـــموج بها الساحة آنذاك ، خصوصا الفقهاء والعلماء الربانيين الـــمنافحين عن الشريعة الإسلامية بأنفسهم وأقلامهم السيالة، فأسال الله التوفيق والسداد.

إن القرآن الكريم هو أعظم رسالة سماوية وأعلاها مكانة ، وأجلّها معجزة ، وأكملها نظاماً ومنهجاً، وقد تولى الله سبحانه وتعالـــى حفظه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر 9/15 ، وكان هذا الوعد الإلـــهي مزيّـــة للقرآن الكريـــم من بيـــن الكتب السماوية ، حيث بدلت تلك الكتب وحرفت ، وزورت وشوهت حقيقتها الناصعة إلى عبث ظاهر فاضح . والقرآن –بحمد الله تعالى – ما زال ولـــم يزل أهله يـــحفظونه في صدورهم ومصاحفهم ، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، وينهلون من نبعه الفياض ما يحتاجون إليه لصلاح حياتـــهم الفردية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية

، بل وفـــي جميع جوانب الحياة البشرية ، ويتفرغ عبر القرون ثلة من خيارهم وأعلامهم لدراسته وتفسيره واستنباط أحكامه، ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومـــحكمه ومتشابـــهه، وعامه وخاصه، ومجمله ومفسره، وصيفيه وشتويه، ومكيه ومدنيه، والاعتبار بدعوته وقصصه، وأحكامه وأوامره ونواهيه، وبشارته ونذارته، ووعظه وإرشاداته، بل ولأجل هذا الكلام المعجز يتوسعون في العلوم والفنون الأخرى كي ينتفعوا ببلاغته وفصاحته، ووجوه إعجازه، ويكتشفوا مَغازي –جمع مغزى- ومرامي تشريعاته، ولكي يظهروا الفروق الشاسعة بين كلام الـــخالق وكلام الـــمخلوق، فما من سورة من سورِه ولا آية من آياته ولا كلمة من كلماته، بل ولا حرف من حروفه، إلا ويدور حولها بـــحث على ألسنة الباحثيـــن والـــمؤلفيـــن وتدونه أقلامهم.

وقد شرف الله بـــهذا الكلام الـــمعجز للعالـــم –وقريش البلغاء على وجه الخصوص – مـــحمّداً – صلى الله عليه وسلم – خاتـــم النبييـــن – صلى الله عليه وسلم – وجعله مبيّناً لـــما أجـــمل فيه، ومفصلا ومخصصا لما جاء فيه من عموم، وشارحاً ما يـــحتاج إلـــى الشرح قال تعالـــى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ... ﴾ النحل 16 / 44 وجعل عبء مسؤوليته وثقل رسالته من بعده على عاتق أمته وكاهل علمائها، لأنـــهم الوارثون لرسالته حيث يقول عز من قائل:﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي... ﴾ يوسف 12 / 108.

فكان كل فرد من مـــخلصي هذه الأمة وعلمائها يتنافس مع غيـــره فـــي أخذ

نصيبه من هذا الـــميراث، ويسابق الآخرين للاشتراك فـــي أداء الرسالة، وكان العلامة الشيخ مـــحمد الـــمكي الناصري مـــمن أخذوا من هذا النصيب، ونهلوا من هذا المعين الصافي، والإرث النبوي الرباني.

عناصر خطة البحث

الحمد لله رب العالمين ، ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ الفرقان 25 /1 ،2

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وارض اللهم عن أصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : لقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم وجعله معجزة خالدة لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وحجة دائمة على خلقه ما دامت السموات والأرض ، ونبراساً للدعاة إلى يوم الدين ، يغترفون من نبعه الفياض شتى الهدايات ، ويقتبسون من نوره مشاعل الحضارة ، ويلتمسون من آياته الحجج الدامغة والبراهين الساطعة ، وذلك كلما تراكمت الشبهات وادلهمت الخطوب والأزمات ، ويجدون في إرشاداته وتوجيهاته برد اليقين كلما حاكت الوساوس في الصدور ، وتعاقبت الأزمنة والعصور ، قال تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة 5/ 15 ، 16 .

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة هذا البحث في قلة من كتب عن هذا العالم الفذ، خصوصا في جانب إبداعه وبراعته في التفسير، إذ شهد تفسيره في تلك الفترة الزمنية توجها غير مسبوق في تاريخ المغرب المعاصر اللهم إلا ما كتبه أحد الأساتذة عن ذلك التفسير عامة دون أن يستفيض في ذلك،في الندوة التي أقيمت احتفاء بالشيخ (1) .

وهو مقال اعتنى أكثر بمصادر الشيخ التي اعتمد عليها في إخراج تفسيره، كما أشار إشارة طفيفة جدا إلى بعض القواعد الفقهية التي وظفها الشيخ في تفسيره، وإلى بعض وجوه الإعجاز في القرآن التي كان يهتم بها فضيلة العلامة المكي الناصري .

أهمية وسبب اختياري قصة موسى عليه السلام :

تعتبر قصة موسى عليه السلام والأحداث التي واجهته في تبليغ رسالته إلى بني إسرائيل من أهم المواضيع التي عالجها القرآن الكريم، حتى يكاد يوصف بأنه قصة موسى. وهي قصة تناولها القرآن من زوايا مختلفة وبأساليب متنوعة عالجت مواضيع تربوية مختلفة على درجة كبيرة من الأهمية مثل أصول العقيدة وآثارها في الحياة العملية، والتي من أهمها مواجهة الظلم والفساد ووسائل التغيير والإصلاح الاجتماعي.

أما سبب اختيار عنوان البحث هو في الحقيقة عنوان مقترح من الدكتور خالد نبوي سليمان حجاج حفظه الله ،وبعد تأمل مني في العنوان وجدت أن موضوعه قضية مهمة

([1]) والمقال بعنوان: جولات في: التيسير في أحاديث التفسير، بقلم الأستاذ: الوافي المهدي، ص:295، من كتاب: سيرة الشيخ محمد المكي الناصري، من منشورات: جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية ، سنة:1991م.

تحتاج إلى إثراء من الباحثين في نواح كثيرة ،كما أن المواضع المتعلقة بالقرآن الكريم هي مواضع ذات قيمة خاصة يستفيد منها الباحث أولا قبل أن يستفيد منها الآخرون ، ومن الجانب الآخر موضوع القصة القرآنية في التربية الإسلامية من المواضع الحيوية ولكنه للأسف أخذ الجانب الفلسفي الغربي ،وغالب التربويين يعتمدون على الكتب المترجمة وهي كتب وإن كان لها قيمتها العلمية إلا أنها بعيدة عن النواحي الدينية ، ثم ذكرني الدكتور بشيء آخر وهو أن أكتب في موضوع يخص أحد علماء المغرب الأقصى فجزاه الله عني خيرا .

أهداف البحث:

يصبو البحث إلي تحقيق وإبراز أهداف كثيرة منها:

1 -من هو موسى عليه السلام ؟

2 -ما هي صفاته وحقوقه ؟

3 -كيف نتعرف عليه وما الفرق بينه وبين الأنبياء ؟

4 -أسباب تعدد الرسل ؟

5 -زيادة العبرة والموعظة من هذه القصة العجيبة في النظم والعرض والتنسيق وقمة البيان، ودقة العرض في الإيجاز و التطويل .

6 -تذكير المؤمن دائماً بعاقبة المكذبين من الأمم السابقة، ليبقى في حالة يقظة وخشية مستمرة وخوف من عذاب الله تعالى .

7 -ومن جهة أخرى ليبقى في حال سرور وتفاؤل برحمة الله ووعده وأنه ينجي عباده المؤمنين ممن يريدهم بسوء وظلم، ويسخِّر الله لذلك كل ما يملكه من قوة، وليتذكر المؤمن أن قوة الله تعالى فوق كل قوة، وجبروته لا يعجزه أي طغيان وأي جبروت مهما تطاول وتكبر، وادعى لنفسه ما ليس له بهتانا وإفكا مبينا.

8 -ستكمال جوانب القصة، وتنسيق جملها على وجه متكامل متناسق الورود، إذ أنها تُذكر القصة مختصرة جداً أحياناً، وأحياناً مطوَّلة، وأحياناً تذكر أحداث جديدة لم ترد في موطن سابق، و هنا القصة لا تتكرر إنما تتكامل .

9 -إن تكرار القصة في مواضع محددة من آيات القرآن يضفي على أسلوب القرآن جمال وروعة وبياناً لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله لذا يتوخى هذا البحث إبراز أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال هذا التنوع في العرض، وما هي سباقات ولحاقات الدلائل البلاغية الدافعة إلى ذلك، ثم ما هي الأوجه البيانية التي تستشف من خلال ذلك كله .

10 - إيراد أقوال العلماء في حاجة الناس إلى المرسلين .

11 - جمع وتحقيق الآثار الواردة في قصة موسى عليه السلام وفرعون في كتب التفسير

الدراسات السابقة:

لم أجد من أفرده١ – أي قصة موسى عليه السلام – في دراسة مستقلة لهذا الشيخ – محمد المكي الناصري– اللهم ما أسلفت ذكره عن الأستاذ: المهدي الوافي الذي تناول فيه الحديث باقتضاب شديد عن التفسير عامة .

إلا أنه تناولته كتب الباحثين في بحوث أخرى عند علماء آخرين ، فمثلا هناك من تحدث عن هذه القصة عند ابن كثير في كتابيه البداية والنهاية ، وقصص الأنبياء ، والمفسرين المتقدمين بحسب ماذكر في الآيات القرآنية ، وهناك من كتب فيها بحث علمي بعنوان : قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة / إعداد نضال عباس جبر دويكات ، وهي رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية بنابلس بفلسطين سنة 2006

وهناك كتابان أيضا في هذا المجال الأول : بعنوان / فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام للدكتور / محمود محمد عمارة / الطبعة الأولى منه بمكتبة الإيمان في سنة 1997م

والثاني بعنوان / قصة موسى عليه السلام وفرعون مصر في القرآن الكريم / إعداد الدكتور /حمدي غنيم سليمان السيد طبع سنة 2002م

أما الأول فركز على الجانب الدعوي والأخلاقي من القصة وأما الثاني فلم يكن الكتاب كبيرا وإنما ذكر القصة في 30 صفحة تقريبا والباقي ركز فيه على ذكر السور التي ذكر فيها موسى عليه السلام وشرح كلماتها الغامضة فقط.

منهج البحث:

وأما المنهج الذي سأسلكه إن شاء الله فهو المنهج الوصفي ويتمثل في الأمور التالية:

1 - عزو الآيات إلى مواضعها من الكتاب العزيز.

2 - تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث وعزْوها إلى أصحابها قدر المستطاع.

3 - إحالة أقوال العلماء إلى مصادرها.

4 - الاستقلالية وعدم التعصب.

5 - ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث.

6 - مناقشة الأقوال والرد والترجيح.

❖ **الخاتمة:** التوصيات ، ثم الفهارس

هيكل البحث:

البحث يتكون من : (مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة،)

تقسيمات الرسالة:

❖ التمهيد : وسأذكر فيه:

- تعريف القصة من جهة اللغة والاصطلاح.
- وما المقصود بها في القرآن الكريم.
- وسأتناول ذكر الفرق بين القصة الأدبية والقرآنية، من حيث الأسلوب والعرض
- ثم ذكرت سبب تكرار بعض القصص في القرآن، وما المغزى من ذلك، وتوضيح دلالاته البيانية والبلاغية والإعجازية؟.

❖ **الفصل الأول** : ترجمة العلامة المكي الناصري وفيه مباحث .

المبحث الأول : في ترجمة الشيخ وفيه مطالب حسب المتوفر 1 مولده ونسبه وكنيته 2 شيوخه وتلامذته 3 مراحل طلبه للعلم . **المبحث الثاني** : عصر المؤلف وفيه مطالب بإيجاز 1 الحياة الثقافية في عصره 2 الحياة السياسية 3 الحياة الاجتماعية 4 الحياة الاقتصادية

❖ **الفصل الثاني**: قصة موسى وفرعون شرح وتحليل وفيه مباحث :

- **المبحث الأول**: تأليه فرعون لنفسه،ومظاهره
- **المبحث الثاني** . مولد موسى عليه السلام والمعجزات.
- **المبحث الثالث** : موقف أم موسى عليه السلام وأخته من تربية موسى

❖ **الفصل الثالث** : فقه الواقع عند موسى عليه السلام و فيه مبحثان وهما كما يأتي:

- **المبحث الأول** : تجرتبلن لموسى عليه السلام .
- **المبحث الثاني** : رحلات موسى عليه السلام.

❖ **الفصل الرابع** : تثبيت الله تعالى لموسى أمام فرعون وقد و اشتمل على مباحث كما يلي:

- **المبحث الأول** : كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام.
- **المبحث الثاني** : تقوية موسى عليه السلام بمعجزتين .
- **المبحث الثالث** :موقف فرعون وملئه من موسى عليه السلام وموقفه منهم.

❖ **الفصل الخامس** : المقومات اللازمة لمواجهة موسى عليه السلام لفرعون وفيه مباحث كما يلي :

- **المبحث الأول** : العلاقة بين شرح الصدر وقوة التفكير.
- **المبحث الثاني** : العلاقة بين قوة التفكير والقدرة الكلامية.
- **المبحث الثالث** : إعانة هارون لموسى في مواجهة فرعون .
- **المبحث الرابع** : حوار موسى مع فرعون ونتائجه .

❖ **الفصل السادس** : العاقبة الوخيمة لفرعون وملئه و اشتمل على مباحث كما يلي:

- **المبحث الأول** : جهاز الحكم الفرعوني وأهميته ودور السحرة فيه.
- **_المبحث الثاني** : تطلع القوم لإظهار الحق بين موسى وسحرة فرعون.
- **المبحث الثالث** : عزم فرعون على قتل موسى وقومه.
- **المبحث الرابع** : العقوبة السماوية لفرعون وآله .

❖ **الفصل السابع** : الدروس والعبر المستفادة من قصة موسى عليه السلام وفرعون وقد جاء كما سيأتي:

- **المبحث الأول** : القلوب بيد الله .
- **المبحث الثاني** : الإمامة تنال بالصبر والصلاة .
- **المبحث الثالث** : العلو و الاستكبار في الأرض نهاية مؤلمة.
- **المبحث الرابع** :الدعاء وصدق اللجوء إلى الله منجيان للعبد .

التمهيد

ويشتمل على عنصرين الأول القصة من حيث اللغة
والثاني من حيث الاصطلاح ، والمقصود بها في القرآن الكريم، وذلك كله بعد تبين معناها لغة واصطلاحا، نوضح العلاقة بين المعنى والدلالة القرآنية والدلالة اللغوية والاصطلاحية.

كما نتحدث فيه عن : الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية،

القصة لغة :

قال ابن فارس[1] : "القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء- وقال عاطفا على ما سبق- ومن هذا الباب القصة والقصص؛ كل ذلك يتتبع فيذكر"(2). وقال صاحب

(1) ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (329 - 395 هـ = 941 - 1004 م) : من أئمة اللغة والأدب ، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة – ط) ستة أجزاء، و (المجمل – خ) طبع منه جزء صغير، و (الصاحبي – ط) في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربع مجلدات، و (النيروز – ط) في نوادرالمخطوطات، و (الإتباع والمزاوجة – ط) و (الحماسة المحدثة) و (الفصيح) و (تمام الفصيح) و (متخير الألفاظ – ط) و (ذم الخطأ في الشعر – ط) و (اللامات – ط) و (أوجز السير لخير البشر – ط) في 8 صفحات، و (كتاب الثلاثة – خ) في الكلمات المكونة من ثلاثة حروف متماثلة، وله شعر حسن : الأعلام، الزركلي: خير الدين، 302/7. معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا،193/1

(2) ابن فارس:أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة: دار الجيل، 1420هـ، 1999م، 11/5.

تاج العروس [1]: "قص عليه الخبر قصصاً أعلمه به وأخبره، ومنه قص الرؤيا.

قص أثره، أي: تتبعه وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، يقال أقصها قصاً،

وقوله تعالى ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا... ﴾ الكهف 18 / 64 ، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ... ﴾ يوسف 12 / 3 ، أي: نبين لك أحسن البيان. وقال بعضهم القص: البيان، والقصص: الإسم. والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع معانيها وألفاظها.

وقيل: القاص : من يقص القصص لأتباعه خبراً بعد خبر، وسوقه الكلام سوقاً "(2).

وقال الفارابي[3] : "القصة : الأمر والحديث، وقد اقتصصت الحديث : رويته على وجهه، وقد قص عليه الخبر قصصاً ، والاسم أيضا القَصص بالفتح ، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصص بكسر القاف جمع القِصة التي تكتب" (4).

---

(1) مرتضى الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى ،(1145 - 1205 هـ = 1732 - 1790 م): علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر .وزاد اعتقاد الناس فيه حتى كان في أهل المغرب كثيرون يزعمون أن من حج ولم يزر الزبيدى ويصله بشئ لم يكن حجه كاملا! وتوفى بالطاعون في مصر .

(2) الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية 18 / 99 .

(3) الجوهري :إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر (000 - 393 هـ = 000 - 1003 م): أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله .لغوي، من الأئمة .وخطه يذكر مع خط ابن مقلة.أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو)أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور .وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلا . الأعلام، الزركلي: خير الدين، 302/7. معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا، 313/1

(4) الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م 3/ 1051

"والقص : فعل القاص إذا قص القصص.

ويقال : في رأسه قصة : يعني الجملة من الكلام" (1).

والقصص : رواية الخبر، و الخبر المقصوص و الأثر.

"القصاص : القاص للقصة التي تكتب والجملة من الكلام ، والحديث ، والأمر، والخبر، والشأن ، وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معا ، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي محدثة" (2).

إذن فالقصة مفردة ، والقصص : جمع وهي المصدر، والقاص اسم فاعل ، وهو الذي يقوم بفعل القص ، والقصاص صيغة مبالغة ، أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القصة من جميع جوانبها ، والإلمام بكافة أطرافها .

وإذن من هذا نتبين أن المعاني والدلالة اللغوية لا تنفك تخرج عن هذه المعاني :

- الإعلام والإخبار.
- التتبع.
- البيان.
- الأمر والحدث.

وكلها معاني ملاحظة في القصة ، فهي يُعلَم ويخبر بها من لم يكن على علم بها ،

---

(1) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، الأنصاري، الرويفعي، الإفريقي/ لسان العرب /(باب القاف / فصل الصاد) ، (دار صادر بيروت / ط: 3) (ج 7 / 73) .

(2) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة 2 / 740

والذي يرويها بل حتى السامع يتتبعها ، إلا أن القاص يتتبع ما علق في ذهنه وفكره منها ، والمستمع يحيط بما لم يحط به علما وخبرا ، ورواية الراوي وحكاية الحاكي لا بد أن تكون مبينة حتى يستوعبها السامع ، وكذلك فهو يحكي حدثا وأمرا حاصلا في الواقع وفي ذهنه .

القصة اصطلاحا :

"تعتبر القصة رافدا من روافد التربية والتثقيف والتعليم ، أخذ مكانه في الأعصار المتأخرة بشكل بارز وواضح ، لما لمس فيه القيمون على ميدان التربية والتعليم الأثر الفعال في تثبيت المعلومة وترسيخها في ذهن الطفل بشكل يعز نظيره عند غير هذا الفن من فنون التواصل .

و لا يعني أن القدماء كانوا لا يعيرون اهتماما لهذا الفن من فنون التواصل الفعال ، وأكبر ما يدل على ذلك وجوده في الثقافات القديمة بشكل واسع ، واعتماده وسيلة من

وسائل من نقل الحضارات وتسلسلها عبر الزمن البعيد ، مما يكسب الحضارات عيشا طويلا وأمدا بعيدا .

وبخصوص القرآن الكريم فقد اعتمد هذا الفن بصفة متميزة وفريدة ، ولأغراض سامية وعالية ، ومنها هذه القصة التي تعرض لها هذا البحث المتواضع . إلا أننا نلحظ في العصور الأخيرة تطور هذا الفن واستقلاله كفن له أثره في الجوانب العامة خاصة الثقافية ، مما جعله يحظى باهتمام واسع وفريدة من المهتمين بهذا الجانب . وإزاء هذا فمن الطبيعي أن توضع له تعاريف تبين عن مغزاه وهدفه وصفته التي تميزه عن غيره ، لذا عرفوه بقولهم :

القصة : سرد لأحداث واقعية أو خيالية ، قد تكون نثرًا أو شعرًا يقصد من خلالها إثارة الاهتمام والإمتاع والتثقيف للسامعين أو القراء .

وقالوا عنها أيضا :

– إنها : عبارة عن سرد قصصي قصير، يهدف إلى إحداث تأثير مهيمن ويمتلك عناصر الدراما . كما قالوا في مكوناتها وأساسها الذي تقوم عليه :

– إن الكثير من القصص القصيرة تتكون من شخصية (أو مجموعة من الشخصيات) تقدم في مواجهة خلفية أو وضع"[1] .

كما قيل عنها إنها :

– "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها ، وجمع القِصة قِصص بكسر القاف، وأما

(1) منقول من الشبكة العنكبوتية بعنوان / موضوع تأليف سارة حسان ، تاريخ الإنشاء ١١:٣١، ٧ يناير ٢٠١١ . http://mawdoo3.com

القَصص بفتح القاف فاسم للخبر المقصوص، وهو مصدر سمي به المفعول، يقال: قص علي فلان إذا أخبره بخبر" (1).

ولست بصدد تفريع موضوع القصة وأشكالها وأنماطها وصيغها وأهدافها وأركانها ومستوياتها ومغزاها ومعناها ، إنما المقصود الوقوف على تعريفهم لها ، لتبني عليها ما يرده من معاني الدلالة اللغوية .وأيضا فإن المتقدمين يعتبرونها جزءا من ذاكرة التاريخ والحضارة المنقولة إما شفويا أو ماديا ، لذا يدرجونها مع التاريخ ، نلاحظ ذلك في قولهم :

"الأخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة ووقائع أيامهم المشهورة كقصة الفيل، وحرب البسوس ، وحرب الفجار" (2) .

وأيا كان الأمر فإن الملاحظ توافق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي في تعريف القصة.

المقصود بالقصة في القرآن الكريم

إن المقصود بالقصة في القرآن الكريم : هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق ، حتى ينصلح الفرد والمجتمع ، وليست الغاية قاصرةً على إمتاع النفوس بسماع قصص مسليّة أو بطولات خيالية ، أو إظهار براعة أدبية مجردة عن هدف

---

(1) الطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التونسي (ت: 1393هـ) (التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (الدار التونسية للنشر – تونس، 64/1)

(2) الهاشمي: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ت 1362 ه ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب تحقيق: لجنة من الجامعيين، ، (مؤسسة المعارف بيروت ج 2 / 22) ، و انظر تفاصيل قصة الحربين في السيرة النبوية لابن هشام ،المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) ،المحقق: طه عبد الرءوف سعد ،الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة .

الإصلاح – كما هو الحال في عامة الفنِّ القصصي – وليست الغاية أيضا سردًا تاريـــخيًا جافا ، كما ه و شأن بعض المؤرخين ، فالقرآن الكريم بكل ما فيه من قصص وأخبار وغيرها ، هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف 111/12. ويؤكد هذا قول العلامة المفسر ابن عاشور[1] : " ليس الغرض من سوقها – أي القصة في القرآن – قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر ، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بـــهم أو التشويه بأصحابـــها فيما لقوه من غضب الله عليهم ،ولذلك نرى القرآن الكريـــم يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص مترها عن قصد التفكه بـــها ، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن الكريـــم متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب التاريخ ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها ، لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع ، هو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه ،وللقرآن الكريـــم أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها ، فكان أسلوبه قاضيا للوطرين

(1) ابن عاشُور : محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها (1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973 م) عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعةمن أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء وكتب كثيرا في المجلات : الأعلام للزركلي (6/ 174)

؛ وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمـــجرد معرفتها ؛ لأن سوقها في مناسباتـــها يكسبها صفتين : صفة البرهان ، وصفة التبيان ، ونـــجد من مـــميزات قصص القرآن ؛ نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير" (1).

الفرق بين القصة القرآنية والأدبية

"القصة الأدبية حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً ، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابـــي "(2).

"أما القصص القرآني فهو من القصص الواقعي التاريخي كما صرح بذلك القرآن في آياته ؛ وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بـــها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به ، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به ، وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد المواضع التي يتناولها والفنون التي يعالجها" (3).

سبب تكرار القصة القرآنية

السؤال الذي طالما كرره العلماء وهو: ما السر الحقيقي وراء تكرار القصة في كتاب

---

(1) ابن عاشور : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـــ) ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: 1984 هـــ 1 / 64

(2) أحمد مختار: أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـــ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر عالم الكتب، ط / 1 ، 3 / 1824،

(3) الزرقاني : محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـــ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق:فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1، 2 / 239

الله تعالى؟ وقد تمحورت آراء العلماء في ذلك حول أهداف ثلاثة :

الأول : الحكمة من تكرار القصة القرآنية في مواضع متعددة من كتاب الله تعالى هي زيادة العبرة والموعظة ، ولتذكير المؤمن دائماً بعاقبة المكذبين من الأمم السابقة ، ليبقى في حالة يقظة وخشية مستمرة وخوف من عذاب الله تعالى ، ومن جهة ثانية ليبقى في حالة سرور وتفاؤل برحمة الله ووعده وأنه ينجي عباده المؤمنين .

الثاني : إن من حكمة الله تعالى في ذكر القصة ذاتها في عدة سور هو استكمال جوانب القصة ، فتُذكر القصة مختصرة جداً أحياناً ، وأحياناً مطوَّلة ، وأحياناً تُذكر أحداث جديدة في كل مرة ، فالقصة لا تتكرر إنما تتكامل .

الثالث : إن تكرار القصة في مواضع محددة من آيات القرآن يضفي على أسلوب القرآن جمالية وروعة وبياناً لا يـــمكن للبشر أن يأتوا بمثله ، وبالرغم من تكرار القصة عبر سور القرآن الذي استمر نزوله فترة ثلاثة وعشرين عاماً ، لا نـــجد أبداً أي تناقض أو نقص أو خلاف ، إذاً نـــحن هنا أمام معجزة لغوية وبيانية تشهد بأن القرآن الكريـــم كتاب الله تعالى .

فسبب " تكرار القصة الواحدة في سور القرآن أكثر من مرة ، إنـــما هو : لتحقيق مقاصد وأهداف ومعان كثيرة لتكون ماثلة أمام الأعين في كل جيل ولكن تكرارها لـــم يكن مـــملا وإنـــما كان بأساليب متنوعة تجتذب الأنظار وتنبه العقول وتطرد السآمة والـــملل

من نفس القارئ والسامع" [1]

فالقرآن الكريم عموما عني بذكر القصص لأغراض أهمها ما يأتي :

1- الدعوة إلي التوحيد، فلم يرسل الله رسولا قط إلا بدعوة قومه إلي توحيد الله عز وجل، ونبذ عبادة ما سواه، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء 25/21 .

وكذلك الدعوة إلي أصول الديانات من البعث والإيمان بالكتب والرسل والأخلاق العامة التي لا تصلح المجتمعات بدونها.

2- بيان أن دعوة الرسل جميعاً واحدة، وأن الدين الذي جاء به الجميع واحد من عهد نوح إلي عهد محمد صلي الله عليه وسلم. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع، فلا عذر لمن يتخلف عن الإجابة ويتبع هواه، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الشورى 13/42.ويقول تعالي في قصة نوح : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف 59/7.

---

(1) الزحيلي : الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط ، 2 ، 1418ه ـــ، 160/12 : الطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التونسي (ت: 1393هـــ) (التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م:68/1 : محمد رضا: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـــ) ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،سنة النشر: 1990 م، 68/12

وفي شأن صالح عليه السلام يقول تعالي : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ هود 61/11 .وهود عليه السلام يقول الله عنه : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ ﴾ هود 50/11 . وقال تعالى في شأن شعيب عليه السلام : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ ﴾ هود 84/11 .

3- إثبات الوحي والدلالة علي صحة رسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، فإن هذا القصص إخبار بالغيب بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لأنه أمي لم يقرأ هذا القصص من كتب السابقين. و لم يثبت أنه تعلم أو تلقى شيئاً من ذلك من أحبار اليهود والنصارى، فورود القصص في القرآن الكريم بهذه الدقة والإحكام وبلوغ الغاية في الفصاحة والبيان دليل على أنه وحي يوحى. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت به من تلقاء نفسه. وقد نص القرآن الكريم على هذا في مقدمات بعض القصص أو في التعقيب عليها في نهايتها. قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـــذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ يوسف 3/12 ، وقال تعالى في قصة مريم عليها السلام : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران 44/3 .

واقرأ في هذا ما جاء تعقيباً على قصة موسى عليه السلام في سورة القصص، يقول

الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ القصص 44/28 ، وأخبره أي محمد صلى الله عليه وسلم بأمور غيبة : ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص 45/28 ، 46 .

إن في إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الغيوب الماضية وهو لم يكن حاضراً ولا مشاهداً ولا مقيما بينهم. مع انتفاء تعلمه ذلك من بشر دليل علي نبوته وإثبات لرسالته صلى الله عليه وسلم .

4- التأسي بأولى العزم من الرسل فيما لا قوه في سبيل الله والدعوة إليه من الأذى والاضطهاد ، وهم مع ذلك ثابتون علي مبدئهم القيم ودينهم الحق، لم يعترهم وهن ولا ضعف و لم تفتر لهم همة، و لم يخالجهم شك إلي أن قضى الله أمره وأنجز لهم وعده.

فنوح عليه السلام سخروا منه وقالوا له : ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ الأعراف 60/7 ، وهود عليه السلام قالوا له : ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ الأعراف 66/7 ، واستهزئوا بشعيب عليه السلام وقالوا له : ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ هود 91/11 ، وعيسى عليه السلام أرادوا أن يقتلوه ، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

وَلَـــكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ النساء 157/4.

5- تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده وتقوية عزيمته رغم ما يلاقي من أذي واضطهاد، فما يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله، وإن يكذبوه فقد كذبت رسل من قبله فصبروا على ما كذبوا. قال تعالى : ﴿ وَكُـــلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ هود 34/11 ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام 34/6 .

وفي هذا أيضا تثبيت – كذلك – للمؤمنين. وغرس الثقة في نفوسهم وتسليتهم عما أصابهم، بما آلت إليه حال المؤمنين السابقين وحال الكافرين.

6- إعلام النبي صلى الله عليه وسلم وإعلام المسلمين بأحوال الأنبياء والأمم السابقين لتكون لديهم الحجة لمعارضة أهل الكتاب في تحديهم وتعنتهم كما قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ آل عمران 93/3 ، وقد تؤدي هذه المحاجة إلي إيمان بعض الناس ، وكذلك دفع تعنتهم في أسئلتهم التى كانوا يريدون بها تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم .

7- في القصة القرآنية دلالة علي قدرة الخالق، من حيث الإعطاء والمنع والإنجاء والإهلاك وخلق خوارق العادات كخلق أدم وقصة مولد عيسى عليه السلام وقصة إبراهيم والطير وعصا موسى ويده التي يدخلها في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين من غير مرض

أو سوء ، وإبراء عيسى للأكمه والأبرص، وإحياؤه الموتى بإذن الله وإخراجه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكذلك ناقة صالح التي جعلها الله له آية، وإماتة الله رجلا مائة عام ثم بعثه... إلي غير ذلك من الخوارق التي تدل علي قدرة قادرة، وتدبير إلهي حكيم.

8- العظة والعبرة لكل من الفريقين – المؤمنين والكافرين – فقد اشتملت القصة القرآنية على كثير من العظات والعبر التي تؤثر في النفوس وتدفع الكافرين إلي الإيمان لئلا يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم أو يحل بهم من العذاب العاجل مثل ما حل بقوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط . وتدفع المؤمنين لزيادة التمسك بدينهم ، والتفاني في نشر تعاليمه، وتحمل الأذى في سبيله، لينالوا من النعيم ما أعد لهم ولأمثالهم السابقين ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ يوسف 111/12

9- بيان عاقبة التقوى والصلاح . وعاقبة الشر والفساد كقصة ابني أدم وقصة صاحب الجنتين. وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم. وقصة سد مأرب. وقصة أصحاب الأخدود... إلي غير ذلك من القصص.

10- بيان نعمة الله علي أنبيائه وأصفيائه كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسي وزكريا ويونس وموسى فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضوع عرضا .

12 - إثبات عقيدة البعث والجزاء ورفع الشك عنها ويبدو ذلك واضحاً جليا في قصة الذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـــي هَـــذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة 259/2 ، وقصة بقرة بني إسرائيل: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة 73/2 وقوله عز وجل في قصة أصحاب الكهف : ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ الكهف 21/18 ، وقصة الألوف من بني إسرائيل الذي خرجوا حذر الموت، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـــكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ البقرة 243/2 .

الفـــــــــــــــصل الأول

ترجمة العلامة

مـــحمد المكي الناصري

وفيه مباحث

المبحث الأول

نسبه ومولده

بالنسبة لترجمة الشيخ بحثت في المصادر المعتمدة في السير والتراجم فلم أجد فيهما ترجمة وافية للشيخ إلا ما ذكره الشيخ الزركلي[1] في: تتمة الأعلام ، لمحمد خير رمضان يوسف، وفيات: 1976—1995م، 1396—1415 ه دار ابن حزم ، 2/ 225 ، غير كاملة لذا سأكتب الموجود بتصرف.

هو العلامة: محمد المكي بن محمد اليمني بن سعيد الناصري الجعفري الزينبي ولد برباط الفتح في ضحى يوم الأربعاء في الرابع والعشرين من شوال عام 1324 هجرية، الموافق للحادي عشر ديسمبر سنة 1906 ميلادي .

(1) الزركلي:خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقي .هو كاتب وشاعر ومؤرخ صاحب " الأعلام ". ولد ببيروت في 25 يونيو 1893م وتوفي بالقاهرة في 25 نوفمبر عام 1976م.نشأ بدمشق ودرس فيها وبعد الحرب العالمية الأولى أصدر جريدة " لسان العرب " غادرها إلى فلسطين فمصر فالحجاز وصدر حكم الفرنسيين غيابياً باعدامه وحجز أملاكه وفي عام 1921 تجنس بالجنسية العربية في الحجاز وأنشأ " المطبعة العربية " في القاهرة وطبع فيها بعض كتبه ثم عينته الحكومة السعودية مستشاراً للوكالة العربية السعودية من أهم مؤلفاته : " الجزء الأول من ديوانه الشعري و " الأعلام " ثلاثة أجزاء و " شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز " من كتاب المترجم له بتصرف 267/8

المبحث الثاني

شيوخه وتلامذته:

تتلمذ الشيخ على علماء كثيرين في المغرب والمشرق، مما كان له الأثر في تكوين شخصيته العلمية والثقافية بل والسياسية، فمنهم من الـــمغرب:

-الأستاذ الحافظ أبو شعيب الدكـــــــالي [1] ، والشيخ محمد المدني بن الحسني[2] .

- و الحاج محمد الناصري[3] ،

---

(1) الشيخ العلامة أبو شعيب بن عبدالرحمن الصديقي وكان يكتب أحيانا بخطه شعيب بن عبدالرحمن المغربي وكنيته أبو مدين ولد 1878م ، ينتسب إلى بيت الصديقات من قبيلة أولاد عمرو، إحدى قبائل دكالة العربية، والمستوطنة قرب مدينة الغربية جنوب مدينة الجديدة،ورث العلم والنباهة عن أسرة اشتهرت بالعلم والفضل والصلاح، وتعدد علماؤها من أمثال الشيخ الصالح أبي فراس عبد العزيز جد أبي شعيب الدكالي، وعميه أبي شعيب ومحمد ابني عبد العزيز، فسار على نهجهم، وصقل ذلك الإرث بالممارسة والرحلة إلى منابع العلم الصافي، وحاز مكانة رفيعة بين علماء المغرب والمشرق ، رحل قديماً إلى مصر والحجاز، ولقي الأكابر، وأمَّ الناس في الحرم المكي ، فتأثر بالدعوة الإصلاحية في مكة والحجاز ، عاد إلى المغرب تعظمه الملوك ، وقام بالدعوة إلى العمل بالحديث مع احترام المذهب المالكي وعدم التعصب له ، وفي العقيدة دعا إلى مذهب السلف ورد على المتكلمين ، ودعا إلى انتهاج السنة ونبذ البدعة وهاجم الطرق الصوفية بشدة ، وسفه شعائرها ، توفي رحمه الله 1938 م :معلمة المغرب، 4063/12-4064. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، لعبدالله الجراري، الرباط، سنة:1969م، المحدث أبو شعيب الدكالي، في سلسلة شخصيات مغربية، سنة:1976م، بالدار البيضاء. الحركات الاستقلالية في المغرب، لعلال الفاسي، الرباط، سنة:1980م. شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية، لمحمد رياض، ط:1، سنة:1426هـ، 2005م : الأعلام للزركلي 167/3

(2) عالم الرباط في عصره؛ محمد المدني بن محمد الغازي الحسني الرباطي أبو المحاسن، اشتهر بالمدني الحسني، ولد بالرباط سنة1889م، أصله من الشرفاء العلميين من أسرة بنو الحسني العلمية، وينتسبون للشريف المولى عبد السلام مشيش تلقى مبادئ العلم في سن مبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم والمتون العلمية بالرباط ومراكش ثم عاد إلى الرباط ليستكمل دراسته للعلوم الإسلامية والعربية، على يد كبار شيوخ بلده أمثال: القاضي أبو زيد عبد الرحمن بريطل الذي كان عمدته في تلقي العلوم، والفقيه النوازلي الجيلاني بن أحمد بن إبراهيم الرباطي، والأديب أحمد بن قاسم جسوس، وشيخ الجماعة المكي بن محمد بن علي البطاوري وآخرون . مكث الشيخ المدني في الدرس والإنتاج العلمي إلى أن توفي سنة 1958م : سل النصال، ابن سودة: عبد السلام بن عبد القادر، تحقيق: محمد حجي، طبعة: دار الغرب، ط: الأولى، 1417هـ 1997م، 174-175.إتحاف المطالع، ابن سودة، عبد السلام عبد القادر، تحقيق: محمد حجي، طبعة: دار الغرب، ط: الأولى، 1417هـ1997م، 569/2. معلمة المغرب، 3436/10-3437.

(3) الامام أبو عبد الله محمد المدني بن الحافظ محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي المولود سنة 1789 م والمتوفى سنة 1822 م رحمه الله تعالى وهو من الذين انتقلوا الى الله تعالى في حياة ابيه واخذ عنه واجازه وقدمه في طريقته المباركة وله مؤلفات كثيرة في علم الحديث والاسناد ومن ضمنها فهرس لطيف ذكر فيه شيوخه واسانيده وبعض الفوائد عن ابيه ومن لقيه من الشيوخ رحمهم الله تعالى فنرويها عن

-و الشيخ محمد بن عبد السلام السائح[1].

ومن الشرق العربي: الأستاذ مصطفى عبد الرزاق[2] ، والأساتذة منصور فهمي[3] ، وعبد الحميد العبادي[4] ، وعبد الوهاب عزام [1] ،

حضرة مسند العراق الشيخ العلامة أكرم عبد الوهاب الموصلي عن شيخه محمد ياسين الفاداني عن المسند الشهير محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني عن فالح الظاهري المدني عن محمد علي السنوسي عن المترجم رحمهم الله تعالى ونفع بهم امين. :معلمة المغرب 7390/22.

(1) القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن السائح، الأندلسي جارا، الرباطي دارا، ومنشأ وإقبارا ، ولد – رحمه الله تعالى – في الرباط بالمغرب سنة 1892م ، حفظ القرآن الكريم، والمتون المهمة في مختلف العلوم؛ صار مهيأ لأن يحضر مجالس كبار العلماء الذين كانت تزخر بهم العُدْوتان الرباط وسلا، في تلك الفترة تعلم بعض العلوم العصرية ، من رياضيات وتاريخ وجغرافيا، وطب وسياسة وغير ذلك ،سافر لحج بيت الله الحرام، وعند عودته شعر بوعكة صحية طلب إثرها الانتقال من فاس إلى مكناس، فانتقل قاضيا بها إلى أن وافته المنية رحمه الله تعالى سنة 1946م : سلسلة شخصيات مغربية، المبدع محمد بن عبد السلام السائح، الجراري عبد الله، :معجم المطبوعات المغربية، 151 :سل النصال، ابن سودة: عبد السلام بن عبد القادر، 133. من أعلام الفكر المعاصر، الجراري: عبد الله، الرباط، 1971م.

(2) مصطفى بن حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرازق ، ولد في قرية أبِي جرج، من قرى محافظة المنيا، ولا يُعرف تاريخ مولده بالضبط، وأشهر الأقوال أنه ولد سنة 1885م، وهو الابن الرابع من أبناء المرحوم حسن باشا عبد الرازق ، حفظ القرآن الكريم في قريته وجوَّده ودرس مبادئ العلوم ثم أرسله والده إلى الأزهر وسِنُّه بين العاشرة والحادية عشرة، فواصل دراسته في جدٍّ واجتهادٍ، وظهرت بواكير نبوغه وكان والده يتدارس معه في الإجازات كتب الآداب ودواوين الشعراء فنمت موهبته وأينعت ، وكان بين والده وبين الشيخ محمد عبده مودة وصداقة وثيقة انعكس أثرها على نجله الشيخ الإمام مصطفى عبد الرازق، فتأثر بالإمام محمد عبده تأثرًا كبيرًا، ووجّهه توجيهًا رشيدًا، وتأثر أيضًا ببعض العلماء مثل الشيخ بسيوني عسل، أستاذه في الفقه، والشيخ محمد حسنين البولاني، والشيخ محمد شقير، والشيخ الإمام أبي الفضل الجيزاوي، والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية .توفي سنة 1947م : معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: 1408هـ)، الناشر: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 245/12. الأعلام، الزركلي: خير الدين، طبعة: دار الملايين، الطبعة:16، 2005م، 231/7.

(3) منصور فهمي أحد اساتذة الفلسفة، ولد منصور في إحدى قرى محافظة الدقهلية بمصر سنة 1886م وتعلم في كتاب قريته وأتم دراسته الابتدائية في مدينة المنصورة ثم انتقل بعد ذلك للقاهرة ليتحصل على شهادة البكالوريا من إحدى المدارس الفرنسية عام 1906 م ليلتحق بمدرسة الحقوق. وبعد عامين من الدراسة بها تم تأهيله مع عدد من زملائه للتدريس بالجامعة ، سافر إلى باريس للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون، كانت أطروحته للحصول على درجة الدكتوراه لها صدى واسع وهي (أحوال المرأة في الإسلام) منع على إثرها من التدريس بالجامعة المصرية آنذاك بعد عمله بها لمدة عام عاد للتدريس في الجامعة بعد ثورة 1919 وذلك في العام1920 ، وقد تدرج في عمله الجامعي إلى أن كان عميدا لكلية الآداب جامعة القاهرة ثم أختير مديرا لدار الكتب ثم مديرا لجامعة الإسكندرية إلى أن أحيل إلى التقاعد عام .1946 كان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه وانتخب كاتب سره وظل بهذا المنصب حتى يوم وفاته سنة 1959م : الأعلام، الزركلي: خير الدين، 302/7. معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا، 16/13.

(4) عبد الحميد بن عبد العزيز بن منصور العبّادي 1309 ــ 1376هـ/1892ــ 1956م عالم بالتاريخ الإسلامي، من كبار المؤرخين والباحثين المصريين، عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، أستاذ جامعي، وكان عميداً لكلية الآداب في جامعة الاسكندرية من 1942ــ1952.يعدّ من جيل الأوائل الذين أسسوا الجامعة المصرية وأسهموا في الحياة الجامعية على أسس قوية متينة :معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا، 100/5.

ويوسف كرم [2] ، وغيرهم كثير .

وتتلمذ أيضا على أساتذة غربيين ، منهم المستشرقان الإيطاليان: الأستاذ كارلو نللينو[3] ، الأستاذ أغناطيوس جويدي [4] ، و المستشرقان الألمانيان: الأستاذ إينو ليتمان [5] ،

---

(1) عبد الوهاب محمد حسن عزام أحد أبرز المفكرين العرب في القرن العشرين، فقد كان أستاذا وأديبا وكاتبا ومفكرا وشاعرا ومترجما وسياسيا. ولد عبد الوهاب عزام في عام1894 م بقرية تابعة لمركز العياط تسمى قرية الشوبك الغربي بمصر، لأسرة لها باع طويل ودور كبير في الفكر والسياسة ومقاومة الأحتلال الأنجليزي، فوالده الشيخ محمد حسن بك عزام كان يشغل منصب عضو مجلس شورى القوانين ثم الجمعية التشريعية، وأنتخب بعدها في أول مجلس نيابي بعد دستور 1923م توفي سنة 1959م ودفن في مسجد عزام بحلوان : الأعلام، الزركلي: خير الدين، 186/4. معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا، 403/13.

(2) ولد يوسف كرم في مدينة طنطا في 8 سبتمبر عام 1886 من أبوين مسيحيين نزحا من لبنان وإستوطنا مصر. مفكر مصري ومؤرخ للفلسفة وفي عام 1893 التحق بالقسيم الابتدائي بمدرسة "سان جورج" بطنطا وحصل على الشهادة الابتدائية. التحق بالقسم الثانوي بالمدرسة نفسها حتى عام 1902، ثم التحق بمدرسة "القديس لويس" بطنطا أيضا. إشتغل موظفا في البنك الأهلي بطنطا عام 1903 ليساعد عائلته الفقيرة في أوائل الحرب العالمية الأولى ترك وظيفته في البنك الأهلي.. وسافر إلى باريس ليدرس الفلسفة. حصل عام 1917 على "دبلوم الدراسات العليا" من السوربون وعين مدرسا للفلسفة في مدرسة ثانوية فرنسي. عاد إلى مصر عام 1919 وبقي في عزلة تامة لعدة سنوات توفي سنة –1959م :الأعلام، الزركلي: خير الدين، 221/8. معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا، 281/13.

(3) نَلّلينو كارلو :كارلو ألفونسو نَلّلينو Carlo Alfonso Nallino (1288 ــ 1357هـ/1872 ــ 1938م) مستشرقٌ إيطاليٌّ، وُلِدَ في مدينة تُورينو Torino الإيطاليَّة لغويٌّ فلكيٌّ مؤرِّخٌ جغرافيٌّ، له اهتمامٌ واسعٌ بالدِّراسات العربيَّة، ولاسيَّما اللُّغة العربيَّة وعلم الفلك العربيِّ، وتاريخ اليمن القديم ولهجاته، والمذاهب الدِّينية الإسلاميَّة.شبَّ على تعلُّمِ العربيَّة فلمَّا أتقنها أخذ العبريَّة والسريانيَّة، وتلقَّى هذه العلومَ اللغويَّة في مدينة أودِين Udine في إيطاليَّا، ثمَّ انتسب إلى جامعة تُورينو الإيطاليَّة ليتابع تحصيله العلميَّ في تلك اللُّغات، وما إن تخرَّج فيها حتَّى أوفدته الحكومةُ الإيطاليَّة إلى القاهرة سنة 1893م، وأقام فيها بضعة شهور، ثمَّ عاد إلى إيطاليا، وأفاد من رحلته إلى مصر فعمل في نشر كتابٍ عن اللَّهجة المصريَّة. الموسوعة العربية، 35/21، عن طريق الشبكة العنكبوتية. معجم المطبوعات العربية والمعربة، سركيس يوسف بن إليان بن موسى، الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928 م، 1870/2.

(4) إغناطيوس: (والإيطاليون يلفظونها إينياتسيو) جويدي Ignazio Guidi مستشرق إيطالي (1260 - 1354 هـ = 1844 - 1935 م) ، عالم بالعربية والحبشية والسريانية. من أعضاء المجمع العلمي العربيّ. كان شيخ المستشرقين في عصره. ولد في رومة. وعهد إليه بتعليم العربية في جامعتها سنة 1885 م. ثم كان أستاذا في الجامعة المصرية سنة 1908 يلقي محاضراته بالعربية، واستمر بضع سنين. من كتبه العربية (محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها بأوربا خصوصا بإيطاليا - ط) أربعون محاضرة ألقاها في الجامعة المصرية، و (جداول كتاب الأغاني - ط) يحتوي على فهارس الشعراء والقوافي والأعلام والأمكنة، و (المختصر - ط) رسالة في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة. ونشر كتاب (الاستدراك على سيبويه) للزبيدي، و (الأفعال وتصاريفها) لابن القوطية : الأعلام، الزركلي: خير الدين، 336/1، معجم المؤلفين، كحالة: عمر بن رضا، 306/2. ذكر أكثر من مرة في معجم المطبوعات العربية والمعربة، سركيس يوسف بن إليان بن موسى، انظر: 275/1.

(5) إينو ليتمان: Enno Litmann مستشرق ألماني (1292 - 1377 هـ = 1875 - 1958 م)، من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق ومجمع اللغة بمصر، وعدة مجامع أوربية. ولد في (اولد نبرج) بألمانيا. وحصل على (الدكتوراه) في الفلسفة من جامعة (هالة) وأقام في سورية، مع بعض البعثات الأميركية. وأجاد معرفة العربية والحبشية والعبرية والسريانية والفارسية والتركية، وألم بلغات أخرى. ودرَّس اللغات الساميّة وعين أستاذا للغات السامية في جامعة (ستراسبرج) ألمانيا وتنقل في عدة جامعات منها الجامعة المصرية القديمة. ألف

الأستاذ جوتهلف برجستراسر[1] ، والأستاذ الفيلسوف أندري لالاند[2].

المبحث الثالث

عصر المؤلف وفيه مطالب

المطلب الأول

الحياة الثقافية ومراحل طلبه للعلم

نشأ الشيخ محمد المكي الناصري في بيت دين وفضل، وظهرت عليه علامات نضج مبكر أبانت عن مؤهلات، ومواهب شخصية بارزة، منها الإستعداد التام للتلقي، والذكاء الحاد، وحب المعرفة، فبدأ بحفظ القرآن الكريم ثم إلى تلقي العلوم الشرعية و اللغوية في المعاهد الدينية، وتمتد هذه الفترة إلى سنة 1926.حيث أنهى دراسته الابتدائية و تعليمه الثانوي. ثم سافر إلى مصر. وكان سفره إلى القاهرة في شهر صفر من عام 1346هـ.

ولقد سعى للإلتحاق بمدرسة دار العلوم أو مدرسة القضاء الشرعي لكن القوانين لم تكن

بالعربية كتبا منها (قصص في اللغة العربية الدارجة – ط) و (قصص العرب في شرقي الأردن – ط) مع ترجمته إلى الالمانية، و (أسماء البدو والدروز في ديرة حوران –ط) و (لهجات عربية شمالية قبل الإسلام) نشره في مجلة مجمع اللغة: الأعلام، الزركلي: خير الدين، 36/2. طبقات المستشرقين، عبد الغفار حميدة، رقم ترجمته: 5. عن طريق الشبكة العنكبوتية.

(1) برجستر يسر:جوتهلف برك شتريزر (2) Gotthelf Bergstrasser مستشرق ألماني (1303 - 1352 هـ = 1886 - 1933 م)، كان أبوه وجده من قساوسة البرتستانت في مدينة بلون Plauen من أعمال زكسن Sachsen بألمانيا. وولد (جوتهلف) ونشأ بها. وتعلم في جامعة ليبزيج Leipzig وأخذ العربية عن آوغست فيشر.وقام برحلة إلى الشرق، فزار الأناضول وسورية وفلسطين ومصر. وألقى في أوائل الحرب العامة الأولى محاضرات في جامعة الاستانة، تنقسم مؤلفاته إلى أربعة أنواع: كتبه عن اللغة العربية وعلم اللغات السامية، وأبحاث في الأرامية ولهجاتها. ومطبوعاته ومصنفاته في الآداب العربية والعلوم الإسلامية، ومقالاته عن علوم اللغة التركية. ومما نشره بالعربية (غاية النهاية في طبقات القراء) للجزري: الأعلام، الزركلي: خير الدين، 143/2.

(2) أندريه لالاند:بالفرنسية (André Lalande :فيلسوف فرنسي (1867–1963م) ولد في ديجون، ودرس في عدة مدارس ريفية، إلى أن انتقل إلى مدرسة أنري الرابع، فدار المعلمين العليا ما بين نال شهادة في الفلسفة وشهادة الدكتوراه في الآداب وفي سنة 1909 صار أستاذاً مساعداً في الفلسفة بالسوربون، وأستاذ كرسي عام 1918، ثم أستاذ زائر سنة 1937.من كتبه موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة، تحقيق :خليل أحمد خليل:منقول من موقع المعرفة http://www.marefa.org

تسمح بقبوله فانصرف عنها إلى الأزهر.ثم التحق بقسم الفلسفة وعلم الاجتماع بالجامعة .

ولما أحس الشيخ الناصري بسعي فرنسا لطرده من مصر رحل إلى سويسرا وفيها درس الحقوق لتنتهي رحلته الدراسية بالرجوع إلى مدينة تطوان شمال المغرب أواخر عام 1933م ليصل إلى الرباط العاصمة أوائل 1934 . وهكذا فإلى جانب دراسته الواسعة للثقافة الإسلامية وتخصصه فيها، درس الفلسفة وعلم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة، وعلوم التربية بكلية الآداب جامعة باريس، ومادة القانون الدستوري والقانون الدولي العام بكلية الحقوق جامعة جنيف.ومما سبق يتبين لنا أن الشيخ محمد المكي الناصري ـــ رحمه الله ـــ قد جمع بين التعليم الأصيل والدراسة الجامعية، كما جمع بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، كما جمع بين العلم والسياسة ، تعلق الشيخ المكي الناصري ـــ رحمه الله ـــ بالتفسير منذ شبيبته، فقد بدأ مسيرته التفسيرية بإعطاء الدروس بمساجد الرباط و تطوان ، حيث كان يفسر سورا وآيات من الذكر الحكيم . و واظب بعد ذلك على إلقاء دروس يومية في تفسير الخطاب القرآني الكريم بعد صلاة العشائين بالمسجد المحمدي والمسجد العتيق بالدار البيضاء، وذلك طيلة سنتين كاملتين. ثم تحول بعد ذلك إلى إلقاء محاضرات من قبيل التفسير الموضوعي للقرآن الكريم . ليستقر في النهاية على إعطاء سلسلة من الدروس المنتظمة في تفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره، وهي الدروس التي كانت الإذاعة الوطنية تقوم ببثها صبيحة كل يوم، كما عملت إذاعة القرآن الكريم بالسعودية على بث هذه الدروس من حين لأخر. وبعد الفراغ من تفسير القرآن كله عمل الشيخ المكي الناصري على جمع

هذه الدروس و طبعها. حتى حكى أحد قدماء العاملين في الإذاعة أنه لم ير الشيخ المكي الناصري، وهو يشرع في تسجيل تلك الحلقات، يحمل بين يديه ورقة أو كتابا. كان يكتفي بالتوقف بين حلقة وأخرى لشرب ماء يروي به ظمأه، ثم يواصل الكلام بلغة عربية سلسة وبليغة وذات حمولات غنية بالمعاني والدلالات. كان يضاهيه في الارتجال عالم آخر اسمه الحاج ناصر، كان بدوره يسجل برنامجا للإذاعة، دون أن يلقي أي نظرة على أوراقه. وحين كان يرتدي الجلباب يضع ورقة صغيرة في قبه، لكنه كان ينساها إلى حين الانتهاء من التسجيل، بل كان يقدم ذلك البرنامج بطريقة مباشرة حين يستعصي عليه التسجيل .

المطلب الثاني

الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية

تميز الشيخ مـــحمد المكي الناصري من بين علماء عصره بوفرة الإنتاج العلمي وغزارته والذي يعد ترجمة عملية لتنوع تكوينه واهتمامه وانشغاله بقضايا المجتمع، فكانت كتاباته أصدق تعبير عن هذا المعطى، وتتميز حياة الشيخ مـــحمد المكي الناصري في إنتاجه العلمي بين فترة الحماية والاستعمار وبين فترة الاستقلال، وكما بدأت حياة الشيخ الناصري العلمية مبكرة كذلك بدأت حياته الوطنية و السياسية حيث ساهم في تـــــــــأسيس "الرابطة المغربية" السابقة لكتلة العمل الوطنـــــــــــي، وهي أول هيئة سرية لمقاومة الاستعمـــار، وكان أول أمين عام لها، وكان ذلك سنة 1920م وسنه آنذاك لا يتجاوز الخمس عشرة، وجادت هذه البداية الوطنية المبكرة بثمارها فلم تكد تمر مدة زمنية قصيرة

حتى ألف مترجمنا كتابه الأول "إظهار الحقيقة و علاج الخليقة " سنة 1922م، و كان رسالة ضد الخرافات و البدع المنسوبة للدين مدشنا به نشاطه السلفي. وكانت تلك هي البداية لينطلق بنشاطه عضوا مؤسسا و عاملا في "جمعية أنصار الحقيقة" سنة 1925م. وقد ظل متنقلا بين البلدان الأوروبية مدافعا عن استقلال المغرب مطالبا الاستعمار بالرحيل إلى سنة 1934م، حيث قفل راجعا إلى المغرب ليكون في وسط المعركة يناضل بجانب زملائه زعماء الوطنية أي قادة التحرر ومقاومة الإحتلال الفرنسي .

ولما قدم شكوى المغرب بفرنسا إلى الأمم المتحدة بإمضائه وإمضاء بقية زملائه سنة 1952م عاقبته الإدارة الدولية بمنعه من العودة و الدخول إلى طنجة، وبذلك أقفلت في وجهه جميع المناطق المغربية، وبقي منفيا في الخارج أكثر من أربع سنوات. ومنذ فجر الإستقلال قام مترجمنا بمهام سامية متنوعة، من خلال المناصب التي رشح لها: أستاذا بالجامعة المغربية سنة 1960م، سفيرا بليبيا سنة 1961م، أستاذا بدار الحديث الحسنية 1964م، وزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة سنة 1972م، عضوا بأكاديمية المملكة المغربية سنة 1981م، عين رئيسا للمجلس العلمي بولاية الرباط وسلا، انتخبه علماء المغرب بالإجماع أمينا عاما لرابطتهم في مؤتمرهم الاستثنائي المنعقد بطنجة سنة 1989م خلفا لأمينها العام الأستاذ الراحل عبد الله كنون، وقد وسمه الملك بوسام تقديرا لعمله بليبيا، وبعمالة أغادير كما وسمه بوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة تقديرا لجهوده العلمية والثقافية.

المطلب الثالث

مؤلفات الشيخ محمد المكي الناصري ومنهجه في التفسير

وللشيخ الناصري الكثير من الأبحاث والمؤلفات في مرحلة الاحتلال نذكر منها:

" إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة " طبع بتونس سنة 1925م

"حرب صليبية في مراكش" طبع بالقدس سنة 1931م

"فرنسا و سياستها البربرية في المغرب الأقصى "طبع بالقاهرة سنة 1932م

"الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية" دراسة دقيقة وافية للأوقاف في المغرب مع مقارنتها بالأوقاف في بقية العالم الإسلامي "طبع بتطوان سنة 1935م" موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية" عرض و تحليل لتاريخ الاحتلال الأجنبي في المغرب وكفاح الشعب المغربي للتخلص منه "طبع بتطوان سنة 1946م" وقد ألحقت به بحوث ومقالات أخرى مترجمة، وبعد الاستقلال صدرت له مؤلفات كثيرة، ومقالات متنوعة في جل ميادين الحياة، كما كان شاعرا أديبا بارعا منذ طفولته. وأجل هذه المؤلفات كتابه القيم الذي كان يذاع على أمواج الإذاعة الوطنية بالرباط الموسوم ب:" التيسير في أحاديث التفسير" في ست مجلدات، طبع بلبنان سنة 1985م عن دار الغرب الإسلامي ، بعد حياة علمية حافلة توفي الشيخ يوم الثلاثاء عاشر مايو 1994 الموافق للتاسع والعشرين من ذي القعدة 1414 هجرية رحمه الله رحمة واسعة.

منهجه في التفسير

منهجية الشيخ المكي الناصري في التفسير من خلال كتابه "التيسير في أحاديث التفسير" تأثر الشيخ المكي الناصري بشيوخه في هذا المجال أمثال بوشعيب الدكالي ومحمد بن عبد السلام السائح ومحمد بلمدني الحسني وغيرهم، حيث ابتداء الشيخ دروس التفسير حوالي 1924م وأن نفسه كانت تتوق إلى أن يكمل النص القرآني بالتفسير فاستجاب لذلك دون تردد عند دعوته للتفسير الإذاعي، هذا التفسير الذي طبع في ستة أجزاء.

والطريقة التي سلكها الشيخ في تفسيره، إذ أنه كان تفسيرا فريدا من نوعه حيث نجد أنفسنا أما تفسير إذاعي صوتي قبل أن يتحول إلى مكتوب، وأنه تتحكم فيه المعايير الإذاعية من الالتزام بالمدة المحددة حيث الحلقة مباشرة تدفع المفسر إلى أن يضم الموضوع كل عناصر الخطاب (الحوار والإقناع والتفسير والشرح...) مع عدم الوقوف على أسباب النزول والشرح اللغوي والبلاغي والأحكام التشريعية، واستحضار ما يسمح به الخطاب في المقام الإذاعي، كما نلمح أن هذا التفسير يسير على طريقة التفاسير السنية بحيث لم يغلب جانبا على جانب و لم يغرق في التأويلات وبنفس إصلاحي واضح، ومن مراحله التي يتبعها وهو يشرح القرآن في حلقاته الإذاعية، تقديم تلاوة النص الذي يفسره، والتعريف بالسورة إذا ابتدأت الحلقة بها، وإبراز المواضيع التي تعالجها السورة، واعتماد وحدة تفسيرية (ربع

الحزب) وتفسيره القرآن بالمأثور، كل ذلك في مفاهيم واضحة مفهومة وأسلوب مبسط [1].

الفصل الثاني

قصة موسى وفرعون شرح وتحليل

وفيه مباحث

(1) منقول بتصرف من الندوة العلمية التي أقامها لمجلس العلمي المحلي لعمالة طنجة أصيلة بشمال المغرب والندوة العلمية عن الشيخ العلامة محمد المكي الناصري. تحت رئاسة رئيس المجلس العلمي الأعلى فضيلة الدكتور محمد يسف. يومه الجمعة بعد العصر والسبت على الساعة التاسعة صباحا 27-28 ربيع الأول 1433هـ موافق 8-9 فبراير 2013م بقاعة المحاضرات بالمجلس العلمي.

مدخل

قبل أن أتحدث عن تأليه فرعون لنفسه وادعائه الربوبية، أحببت أن أتحدث عن الظلم وأنه يقع في إطار مسلسل بحلقات متتابعة من منطلق ارتباط الظلم بالشر في عالم مكتنف بالخير والشر معا. وطبعا بما أن الظلم يعني التعدي على حقوق الضعفاء، أي على إنسانيتهم وكرامتهم ،ووجودهم وكيانـــهم ؛ وبما أن ذلك يؤدي إلى التصدع الإجتماعي، فالإنـــحدار الحضاري، فهذا يعني أن الظلم مقترن بالظلم الموازي حقيقة ومعنى للظلام. وحينما يسود الظلم والظلام وينتشر في مجتمع ما يسيطر التجمد الفكري عليه، ويعم الركود فيه، والفساد كل مناحي الحياة، والخوف والرعب يستولي على النفوس المسكينة، ويبقى ترقب المستقبل هو سيد الموقف، وبهذه الشاكلة يُموَّت بل يُقتَل الإبداع بل والأمل من نواحي وجنبات الحياة علما أن معاني الحياة، وقيمها، تـــختفي بوجود ذلك الركود. وقد لا يشعر الظالمون به لأن الركود يكون نتيجة لآثار إفسادهم، في حين أن الفئة التي تشعر به، هي الفئة المستضعفة، المؤمنة بمعاني الروح والأخلاق، المدركة تماما لأهمية الاستنارة الفكرية في التخلص من التجمد وآثاره في التخلف الحضاري. ولكن إن وقفت تلك الفئة لمناهضة الظالمين، لتغيير الأوضاع فهي تجابه غالبا بقسوة، وتيه ،وعتو ،وبطش ،وطغيان من هؤلاء الطغاة، وهذا ما حصل لمستضعفي أقوام: نوح ،وهود ،وصالح ،ولوط ،وشعيب عليهم السلام، فأرسل الله تعالى الأنبياء لإنقاذهم من جور أهل الاستكبار والظلم. وهذا ما حصل

لبني إسرائيل في مصر أيام حكم فرعون، قبيل ولادة موسى عليه السلام وبعدها، وحتى خروج موسى بالقوم من مصر وغرق فرعون مع جنده في اليم.

المبحث الأول

تأليه فرعون لنفسه ومظاهره.

قال تعالى :﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص 28/ 4. وقال عز من قائل : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ القصص 28/ 38 - 42.

كلنا يعلم بأن التأليه تطاول على التوحيد، ولذا فالعقاب السماوي المفروض على المتألِّه كبير، والقرآن الكريم يضع دوما حدا فاصلا ما بين الألوهية والبشرية. وذلك لتذكير أبناء البشرية بأنـــهم يخضعون كلهم لله تعالى، ـــ العالم بكل صغيرة وكبيرةـــ، المهيمن على الكون وكل ما فيه. وحتى فيما يـــختص بالأنبياء والرسل، فالتشديد على بشريتهم كبير في القرآن الكريم، وذلك لتأكيد الحد الفاصل بين الألوهية والنبوة.فالأنبياء بشر مصطفون من الله تعالى بعلم لا يـــحده شيء، وحكمة بالغة. بالنسبة للإنسان المؤمن، فهو يدرك تلك

الحقائق، ولذا يتصرف ضمن معرفة حقه، بـــحدوده وإمكاناته كبشر، فلا يعلو ولا يطغى في الأرض من غير حق. أما الإنسان غير المؤمن المستكبر، فقد لا يعي تلك الحقائق، أو حتى لو أدركها، لتنكر لها، لأنه يرى الأشياء في بوتقة من المنافع والمصالح.

ولذا يوجد اتـــجاه لدى المستكبر، المحب للسلطة الدنيوية، نحو التأليه، وذلك للإبقاء على مصالحه، فالتأليه يضعه في مركز الأمر والنهي بلا حدود، ومن خلاله يستطيع تنفيذ أهدافه في السلطة المطلقة، ولكن دون شعور منه بأن الله تعالى له بالمرصاد. وأنه عز وجل إن أمهله فلن يهمله، وأنه حينما تنتهي فترة الإمهال، يأخذه أخذ عزيز مقتدر، فيبقى عبرة للعالمين.

وذلك ما حصل لفرعون كما ذكرت الآيات الكريمات، كما في قوله عز وجل:﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ القمر 54 / 41، 42. بعد أن عاث في الأرض فساداً وإفساداً بتيهه وغيه وظلمه. عرض كتاب الله ما قام به فرعون من مغالطة مكشوفة ، تأييدا لعقيدته الفاسدة ، وتثبيتا لها في نفوس الأغرار والأغمار من قومه ، مستعينا بهامان مستشار دولته ، والمدافع عن عقيدته ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ القصص 38/28 أي أنا مالك رقابكم الوحيد ، الذي تلزمكم طاعتي والخضوع لأمري دون غيري ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ القصص 38/28 ، وما دام أي بناء ولو بلغ أعلى عليين ، لا يصل متسلقه إلى عرش رب العالمين ، لكونه لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يدركه بصر أي

إنسان ، فسيتخذ فرعون من ذلك ذريعة لإنكار الألوهية ، ويجعل موسى امام الملأ موضع تهكم وسخرية ، مشككا فيه وفي عقيدته إذ يقول : ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ القصص 38/28. ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴾ القصص 39/28 ، ووصف كتاب الله ما كان عليه فرعون وجنود من عتو واستكبار ، وإهدار لحقوق الخلق واستهتار ،﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص 40/28 ، ثم عقب على ذلك بإغراقهم في البحر وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، جزاء وفاقا لكل طاغية متجبر ، فقال : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ القصص 40/28 ، قال الزمخشري[1] : " هذا من الكلام الفخم الذي دل به (كتاب الله) على عظمة شأنه ، وكبرياء سلطانه ، شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثر الكثير ، والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ، ونحو ذل قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر 39/ 67 وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتدراه ، وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته سبحانه وتعالى "[2] .

---

(1) الزمخشري : 467 - 538 هـ / 1074 - 1143 م، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم. من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية، (من قرى خوارزم) فتوفي فيها، وله ديوان شعر. وكان معتزلي المذهب مجاهراً شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. أشهر كتبه (الكشاف –ط)، و (المقدمة –ط) معجم عربي فارسي مجلدان، و (مقدمة الأدب –خ) في اللغة و (الفائق –ط) في غريب الحديث، و (المستقصي –ط) في الأمثال، مجلدان، و (رؤوس المسائل –خ) وغيرها الكثير.

(2) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1407 هـ ، 415/3

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لايُنْصَرُونَ﴾ القصص 41/28 ،وكما كافأ الله أئمة الهدى الذي يدعون الناس إلى الخير ، فجعل لهم " لسان صدق " أي لسان " مدح ومبرة " في الآخرين ، كافأ أئمة الضلال الذين يدعون الناس إلى الشر ، وجعل لهم لسان " قدح ومعرة " في الدنيا ويوم الدين ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾ القصص 41/28،﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ القصص 42/28،

مظاهر تأليه فرعون

من مظاهر طغيان فرعون، توجهه نحو الاستبداد والبطش ببني إسرائيل كفئة معارضة لفكرة تأليهه لنفسه، لتمسكهم بالتوحيد وقتذاك. وطبعا، فطغيانه عليهم كان يهدف للقضاء على أي معارضة ضده تُخل بمصالحه. فالمعارضة قد تمتد للفئات الأخرى، وإن حصل ذلك فمعناه التهديد لسلطته. ولذا اتخذ إجراءات غير إنسانية، وتعسفية بحق بني إسرائيل، تهدف إلى الحد من تكاثرهم من جهة، وتحويل حياتهم حزنا وألماً من جهة أخرى. فقد أعطى أوامر بقتل الأطفال الذكور منهم أولا، وفضلا عن أن ذلك الأمر معني بالحد من تكاثرهم كما ذكرنا فهو غير إنساني لأنه موجه نحو قتل نفوس بريئة من غير حق وتهديم نفسية آباء الأطفال.

فالطفل عزيز على أبويه، وقتله بطش يسبب حزنا لهما وإن تطور فقد يعطلها عن العمل.

وقد يلجأ الآباء لإيـــجاد وسائل لإخفاء أطفالهم، ولكن حتى إن نجحوا، فيبقون في حالة خوف من كشف أمرهم، والبطش بأطفالهم وبـــهم أيضا، لخروجهم على أوامر فرعون. وعلى أي حال فالذعر كان يسيطر وقـــــتـــــئـــذ على عائلات بنـــي إسرائيل، وانعكس على عمر الإنجاب للآباء والأمهات، وذاك يعنـــي حدوث اضطراب، وقلق بـــيـــن تلك الفئات، فإذا ما تركنا الأطفال ووالديهم في سوء أحوالهم وانتقلنا إلى النساء المسنات فقد فرض فرعون عليهن الخدمة في البيوت، إذلالاً لهن، وإهدارا لإنسانيتهن، فكأن فرعون أراد أن يدمي قلوب بنـــي إسرائيل حتى يشغلهم، عن التأثير على الآخرين بصدد معارضة فكرة التأليه التي فرضها فرضاً في المجتمع الخاضع لحكمه. وقد شاء الله تعالى لموسى أن يولد فـــي تلك الظروف العصيبة ثم يكلفه بوضع حد لطغيان فرعون بتهيئة وسائل التغيير له، وهنا أحببت أن أذكر أن القرآن ليس كتابا عن التاريخ ، بل هو كتاب وحي شامل يتحدث عن الشرائع التي تنظم حياة الإنسان فردا ومجتمعا ،عبادة ومعاملات. والقرآن يـــنيـــر الطريق للناس لنيل حسن الثواب من خلال أحكامه، وقوانينه، ويحذرهم من سوء العاقبة إن لم يلتزموا بأحكام، وقوانينه، وشرائعه تلك. هذا وإن ورد التاريخ في القرآن الكريم ببعض أحداثه فيرد في بوتقة أفكار أزلية، وقيم تهدف إلى إنارة الإنسان كفرد وجماعة، وتوجيهه نحو الإتعاظ على أساس أن القضايا الإجتماعية تسبب التواءً في الموازين يتكرر على مر التاريخ البشري بـــحكم وجودنا في عالم مكتنف بالخير والشر معا. وبوصولنا لتلك النقطة فسوف ننتقل للحديث عن مولد موسى عليه السلام والظروف المحيطة به.

المبحث الثاني

نسب ومولد موسى عليه السلام والمعجزات

نسبه عليه السلام

هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة، وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة، وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة، وكان عمره جميعه مائة وثلاثين سنة [1].

أمه وزوجه عليه السلام

وأم موسى يوخابد واسم امرأة موسى عليه السلام صفُّورا ابنة يثرون كاهن مدين، والكاهن : حبر ، وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف، فقال بعضهم : كان اسمه يثرون، وقال آخرون: بل اسمه شعيب، وقيل أنه رجل مؤمن من قوم شعيب لبعد المسافة الزمنية بين

(1) الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ،المحقق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ، 1420 هـ - 2000م ، 2 / 61 ، الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ . 510/3 : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، المؤلف: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: 966هـ) ،الناشر: دار صادر - بيروت

شعيب عليه السلام وبين موسى عليه السلام وهذا هو الراجح [1].

مولده عليه السلام

ولد موسى عليه السلام في ظروف من الطغيان الكبير في مصر بسبب استكبار فرعون، وتأليهه لنفسه. ويتجلى ذلك في – سورة القصص – التي تبدأ بطمأنة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي كان يعاني من استكبار كفار قريش، تماما كما عانى موسى، بعد أن كبر، من استكبار فرعون وآله. قال تعالى: ﴿ طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص 28/ 1 – 4.

في ظل تلك الأوضاع القاسية ، ولد والخطر محدق به، والموت يتلفت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه.. وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين. ها هي ذي بطفلها الصغير في

---

(1) الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (المتوفى : 310 هـ) جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، 1420 هـ – 2000 م وقال البغوي: واختلفوا في اسم أبيهما ، فقال مجاهد ، والضحاك ، والسدي والحسن : وهذا الرجل أبو المرأتين صاحب مدين ليس بشعيب النبي المعروف كما اشتُهر عند كثير من الناس ، فإن هذا قولٌ لم يدل عليه دليل ، وغاية ما يكون أن شعيبًا عليه السلام قد كانت بلده مدين ، وهذه القضية جرت في مدين ، فأين الملازمة بين الأمرين ؟! وأيضا فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب ، فكيف بشخصه : السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م 1/ 614 البغوي: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي تحقيق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة : الأولى ، 1420 هـ الثعلبي : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002م ، 233/7

قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة.. ها هي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة.

هنا تتدخل القدرة الإلهية ، فتتصل بالأم الوجلة القلقة المذعورة، وتلقي في روعها كيف تعمل، وتوحي إليها بالتصرف: ﴿ وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ، فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ، وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي﴾ القصص 7/28،يا لله! يا للقدرة الإلهية ! يا أم موسى أرضعيه. فإذا خفت عليه وهو في حضنك. وهو في رعايتك. إذا خفت عليه وفي فمه ثديك، وهو تحت عينيك. إذا خفت عليه﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ !! ﴿ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي﴾ ، إنه هنا.. في اليم.. في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها، اليد التي لا خوف معها. اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها. اليد التي تجعل النار بردا وسلاما، وتجعل البحر ملجأ ومناما.

اليد التي لا يجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولا جبابرة الأرض جميعا أن يدنوا من حماها الآمن العزيز الجناب .﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ فلا خوف على حياته ولا حزن على بعده ﴿وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وتلك بشارة الغد، ووعد الله أصدق القائلين.

"هذا هو المشهد الأول في القصة. مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح. ويترل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور بردا وسلاما. ولا يذكر السياق كيف تلقته أم موسى، ولا كيف نفذته. إنما يسدل الستار عليها، ليرفعه فإذا نحن أمام المشهد الثاني: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ القصص 28/ 8 ..أهذا هو الأمن؟

أهذا هو الوعد؟ أهذه هي البشارة؟ وهل كانت المسكينة تخشى عليه إلا من آل فرعون؟ وهل كانت ترجف إلا أن ينكشف أمره لآل فرعون؟ وهل كانت تخاف إلا أن يقع في أيدي آل فرعون؟ ، نعم! ولكنها القدرة تتحدى. تتحدى بطريقة سافرة مكشوفة. تتحدى فرعون وهامان وجنودهما. إنهم ليتتبعون الذكور من مواليد قوم موسى خوفا على ملكهم وعرشهم وذواتهم. ويبثون العيون والأرصاد على قوم موسى كي لا يفلت منهم طفل ذكر.. فها هي القدرة الإلهية تلقي في أيديهم بلا بحث ولا كد بطفل ذكر. وأي طفل؟ إنه الطفل الذي على يديه هلاكهم أجمعين! ها هي ذي تلقيه في أيديهم مجردا من كل قوة ومن كل حيلة، عاجزا عن أن يدفع عن نفسه أو حتى يستنجد! ها هي ذي تقتحم به على فرعون حصنه وهو الطاغية السفاح المتجبر، ولا تتعبه في البحث عنه في بيوت بني إسرائيل، وفي أحضان نسائهم الوالدات! ثم ها هي ذي تعلن عن مقصدها سافرة متحدية: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾ ،ليكون لهم عدوا يتحداهم وحزنا يدخل الهم على قلوبهم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ﴾ .. ولكن كيف؟ كيف وها هو ذا بين أيديهم، مجردا من كل قوة، مجردا من كل حيلة؟ لندع السياق يجيب: ﴿ وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ: قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، لا تَقْتُلُوهُ، عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لقد اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته، بعد ما اقتحمت به عليه حصنه. لقد حمته بالمحبة. ذلك الستار الرقيق الشفيف. لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال. حمته بالحب الحاني في قلب امرأة. وتحدت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره.. وهان فرعون على الله أن يحمي منه

الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف! ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ وهو الذي تدفع به يد القدرة إليهم ليكون لهم- فيما عدا المرأة- عدوا وحزنا! ﴿ لا تَقْتُلُوهُ﴾ وهو الذي على يده مصرع فرعون وجنده! ﴿عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ وهو الذي تخبئ لهم الأقدار من ورائه ما حذروا منه طويلا! ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ فيا للقدرة القادرة التي تتحداهم وتسخر منهم وهم لا يشعرون! وينتهي المشهد الثاني ويسدل الستار عليه إلى حين. ذلك شأن موسى. فما بال أمه الوالهة وقلبها الملهوف؟ ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص 10/28 ، 11 لقد سمعت الإيحاء، وألقت بطفلها إلى الماء. ولكن أين هو يا ترى وماذا فعلت به الأمواج ؟ ولعلها سألت نفسها: كيف ؟ كيف أمنت على فلذة كبدي أن أقذف بها في اليم ؟ كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أم ؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب؟ والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية: ﴿ فارِغاً ﴾ لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف! ﴿إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ وتذيع أمرها في الناس، وتهتف كالمجنونة : أنا أضعته أنا أضعت طفلي أنا ألقيت به في اليم اتباعا لهاتف غريب! ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها﴾ .. وشددنا عليه وثبتناها، وأمسكنا بها من الهيام والشرود. ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .. المؤمنين بوعد الله، الصابرين على ابتلائه، السائرين على هداه. و لم تسكت أم موسى عن

البحث والمحاولة " ! [1] .

﴿وَقالَتْ لِأُخْتِهِ: قُصِّيهِ﴾ " أي اتبعي أثره ، وتتبعي خبره، أبصرته أخته عن بعد وهي تختلس النظر إليه ، ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لم يكونوا يشعرون بما تنطوي عليه أخته من اهتمام بأمره ، وتتبع لحركاته ، وقلق على مصيره ، وأنه أخوها وهي أخته ، وهكذا يتولى الله بحفظه ورعايته ، في مختلف المراحل والعهود ، وفاء منه سبحانه وتعالى بما واثقهم عليه من المواثيق والعهود .﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ﴾ القصص 11/28 ، 12 ، فبعدما نجاه الله من الغرق في اليم والتقطه آل فرعون ، وتدخلت امرأة فرعون لمنع ذبحه وقتله كغيره من مواليد بني إسرائيل ، ها هو فرعون وامرأته يبحثان عن مرضعة ترضعه ، وعن ثدي يلتقمه ، ليركن إلى عطفه وحنانه ، ويسلم نفسه إليه ، لكن الله تعالى ألهمه أن لا يقبل رضاع لبن سوى لبن أمه من النساء وأشكل الأمر على أسرة فرعون ، وأعيتهم الحيلة ، خوفا على حياة موسى ، إذا استمر من دون تغذية ، وهو لا يزال في فجر طفولته ، وأخطر أطوار حياته ، وهنا تدخلت أخته التي كانت تتحسس كل ما يحيط بأخيها من الحركات والسكنات ، من دون أن يعرف أحد من آل فرعون أنه أخوها وأنها أخته ، فتقدمت إلى

---

(1) سيد قطب : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) ، في ظلال القرآن ، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة ،الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ ، 2678/5 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ – 2000 م،156/18: البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، 522/3

امرأة فرعون وزوجها تعرض استعدادها للبحث عن بيت يقوم بهذه المهمة الإنسانية على أحسن وجه ، فيأخذ على عاتقه إرضاع هذا الوليد وحضانته ، ويعنى بتربيته الأولى بكل نصح واعتناء ، إلى أن يفارق مرحلة الرضاع ، وتنجح أخته في مسعاها ، فتأخذه معها إلى أمه ، ويرده الله إليها كما وعدها من قبل ، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى في بداية هذا الثمن : ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل ﴾ أي ألهمناه قبل رده إلى أمه أن لا يقبل الرضاع من ثدي أية امرأة سواها ، " فالتحريم هنا تحريم منع ، لا تحريم شرع " ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ وبذلك سكنت نفسها ، وتم أنسها ، وترقرقت في عينيها دموع الغبطة والفرح التي تكون باردة في العادة ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ من " القر " ضد الحر ، لا ساخنة مثل دموع الحزن والكمد ، وتمت هذه العملية الخطيرة في حفظ الله وستره ، فلم يكتشف السر فيها لا فرعون ولا زوجه ولا بقية آل فرعون ، اعتقادا منهم جميعا بأن المرضعة التي عثروا عليها بإرشاد أخته لا علاقة لها بالوليد الرضيع ، لا من قريب ولا من بعيد ، وأنها مجرد مرضعة وحاضنة ، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى تعقيبا على نفس الحادثة : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾"[1]

فسورة القصص تجمع ذهنيا مابين زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وزمن موسى عليه السلام قبيل ولادته وبعدها بمراحل. وتبدأ بتثبيت الوحي وإعطاء خلفية

(1) محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير، 487/4 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م، 223/6 : الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) ، فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى - 1414 هـ ،440/3 :182/4

عن طغيان فرعون. كما تتمثل في النقاط الآتية :

أ- تشتيت الـــمجتمع المصري إلى فرق وأصناف عديدة بإجبارهم على طاعته.

ب- إذلال بنـــي إسرائيل بالذات بذبح أبنائهم من الذكور، واستحياء نسائهم.

إذا تركز السورة على عرض ظلم استشرى في الساحة الأرضية في زمن فرعون. ومن تلك النقطة، ننتقل للتركيز على الدور الإلهي في تصحيح الأحوال، من خلال إرساء قواعد الحق والعدل، الـــمتجسدة في رفع الـــمعاناة عن الفرقة الـــمظلومة وقتـــئذ - وهي فرقة بني إسرائيل-، ورد حقوقهم إليهم بتهيـــئة الأسباب لظفرهم على فرعون، كما جاء في قول المولى عز وجل:﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ القصص 6.5/28. إضافة لـــما تقدم ذكره، فإن ما ورد من آيات في سورة القصص وفي القرآن كله، يؤكد أن الله تعالى مرته عن الظلم تتريها كليا بكماله. وعليه فالعدل الـــمطلق صفة إلـــهـــية، وبتلك الصفة الـــمصطحبة بعلم لا يـــحده شيء، ورحـــمة على الـــمستضعفين، وإرادة فائقة، وقوة بلا مثيل، فالله تعالى هيأ أسباب التحويل التاريـــخي، بأول مفاتيحها، الكامنة في ولادة موسى. والسورة تبين الكلمة الإلـــهية بإحياء موسى، رغماً عن أنف فرعون وآله، كما أتى في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص 7/28. إن الإيـــحاء لأم موسى بإرضاع طفلها، إيذان

من الخالق عز وجل لذلك الطفل ليعيش؛ ويكبر؛ ويترعرع؛ ويقوم بـــمسؤولية كبيرة؛ بالرعاية الإلـــهية. كما أن تـــهيئة الأسباب السماوية لرعاية ذلك الطفل من الأخطار، لدلالة على عظم شأنه روحياً منذ ولادته. هذا ؛ والـــحماية السماوية للطفل تظهر في الإيـــحاء لأم موسى، أنه في حالة شعورها بـــخطر مـــحيط بطفلها فعليها وضعه في صندوق، ثم إلقاء الصندوق في النهر، نـــهر النيل بشجاعة، وثبات وجداني، فالله تعالى سوف يرده سالـــماً إليها ويـــجعله في وقت ما رسولا، يرسل إلى فرعون، لكي يقوم بإنقاذ بني إسرائيل من نير ذلك الطاغية، بالقضاء الإلـــهي الذي لا يرد .إذا ، فإنقاذ القوم أمر مدبر من السماء، وذاك يظهر تكراراً، أنه عند حدوث التواء في الـــموازين الأرضية بفعل الطغاة، ويعجز الـــمستضعفون عن مـــجابـــهة الظلم، وهم في أشد حالات الـــمعاناة، يهيئ الله تعالى الأسباب الكفيلة بتصحيح الأوضاع تدريـــجاً. فالله عز وجل، هو الذي خلق موسى، وهو عز شأنه، الذي أوحى لأمه بالتدابير الكفيلة بإرجاعه سالـــما إليها، بل وجعله من الـــمرسلين. هذا، وبالـــخطة الإلـــهية التامة في الـــحكمة، فإن آل فرعون، هم الـــملتقطون لصندوق الطفل، كما أتى في قوله عز وجل: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ القصص 8/28 . إن تلك الآلية تبين الإرادة الإلـــهية في التحطيم النفسي للطغاة، بالتنبيه على زاوية ظلمهم، لضربـــهم منها. فالله تعالى حبب الطفل في نفس امرأة فرعون، فطلبت عدم الفتك به، من خلال التطلع للاستنفاع منه، وقت الحاجة، كالكبر مثلا، بل ولشدة عطفها على

الطفل، اقترحت تبنيه كولد تقر عينها به. وحصل هذا دون شعور من آل فرعون، بأن ذلك الطفل الذي أنشئوه في بيتهم، لتقر به عيونـــهم، هو نفسه الذي اختاره الله تعالى، لكي يـــجابـــههم، ويـــحيل سعادتـــهم القائمة على ظلم بني إسرائيل إلى هم وغم، جزاء لـــما قدمته أيديهم. هذا، وبصدد طلب امرأة فرعون من زوجها الإبقاء على حياة موسى، فقد جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص 9/28. يؤكد السياق القرآني هنا، أن العلم الغيبـــي كله عند الله عز وجل، الـــمحرك لجميع الأمور، الذي لا يعجزه شيء في السماء والأرض. ظن فرعون كطاغية أنه تـــحكم بالنتيجة بالأمور لصالحه، وهو يدعي الإلوهية في نفسه إفكاً، ولكن الله تعالى، يبيـــن أن ما ظنه تـــحكماً، فهو وهم وسراب، يكشف له، وللناس بزمانه، وبكل زمان ومكان، بالتخطيط الإلـــهي. وهو يتمثل بقلب الأمور ضده تدريـــجا، ابتداء من نقطة لـــم تكن لتخطر قط على باله، وهي تربيته لـــموسى في قصره، بـــحيث يفسح في المـــجال لـــموسى للتعرف جيدا عليه من قرب. هذا مع العلم بأن التعرف هذا؛ يزود موسى بـــمواجهته في الإطار الصحيح في ظل الرعاية الإلـــهية. فالمواجهة بـــحدود العلم الدقيق والـــمعرفة بالشخص الـــمواجه، أحكم من الـــمواجهة في الأحوال العادية. ومن هنا، كانت الحكمة الإلـــهية العظمة في مـــحبة امرأة فرعون للطفل، وطلبها تربيته كولد لـــها في بيتها. ولكن تلك هي مـــجريات الأحداث على ساحة فرعون بصدد موضوع صندوق موسى، وتربيته، بيد أنه بالنسبة لـــما يـــختص بأم

موسى، فماذا جرى؟ هذا ما تظهره الآيات التالية في المبحث الآتـــي

المعجزات

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف 7/ 130- 133 .

"لما كلف الله موسى عليه السلام بالرسالة أيده بكثير من المعجزات ، وكان من أبرز تلك المعجزات معجزتان تحدى بهما ما كان سائدا ومنتشرا آنذاك من السحر وهما : (العصا واليد) حيث أبطل الله تعالى بهما سحر السحرة ، وأقام الحجة على فرعون وملأه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ طه 20/ 17 - 23

وقد أشار القرآن الكريم إلى معجزات موسى عليه السلام بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ الإسراء 17/ 101، 102 ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : (هي : العصا ، واليد ، والسنين ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدّم" [1] .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ

(1) الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ،المحقق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ، 1420 هـ - 2000م،564/17 : النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) ،تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م ، 2/ 280 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م29/2

مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف 7/ 133.

– العصا : وهي انقلاب عصاه حية تسعى ، وابتلاعها حبال وعصيّ سحرة فرعون

– اليد : وهي إدخال يده في جيبه ، وإخراجها بيضاء من غير سوء ، أي من غير برص ولا مرض

– فلق البحر : وذلك عندما أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يخرج ليلا ببني إسرائيل من مصر في اتجاه الأرض المقدسة في فلسطين ، وأن يضرب لهم في البحر طريقا يبسا ، فلما لحقهم فرعون وجنوده ، ودخلوا البحر وراءهم ضمّ الله الماء بعضه إلى بعض ، فأغرق فرعون وجنوده ونجى موسى ومن معه..

– السنين : وهي سنوات القحط والجدب التي أتت على مصر ، بسبب قلة ماء النيل وانحباس ماء المطر ، مما أدى إلى نقص الثمرات..

– الطوفان : وهو ارتفاع منسوب ماء النيل ، والفيضان الذي أدّى إلى إتلاف الزرع وتهدّم المساكن..

– الجراد : حيث أرسله الله تعالى عليهم بكثرة ، فلم يُبق زرعا ولا ثمرا ولا شجرا إلا أتلفه ..

– القمّل : حيث سلط الله تعالى عليهم هذه الحشرة المعروفة .. وقيل : هي صغار الجراد .. وقيل : البقّ ، فانتشرت فيهم وأقضّت مضاجعهم..

– الضفادع : سلط الله عليهم الضفادع ، فكثرت فيهم ، ونغصت معيشتهم ،فكانت

تسقط في أطعمتهم ويجدونها في فرشهم وملابسهم..

- الدم : حيث استحال الماء في مصر إلى دم ، فكانوا إذا رفعوا الكأس ليشربوا وجدوه مختلطا بالدم .. وقيل : ابتلاهم الله بالرعاف .. وقيل : أصيبوا بالدمّل هم وبهائمهم..

كما أيد الله تعالى موسى عليه السلام بمعجزات كثيرة غير الذي ذكرنا ، منها : ضرب المقتول بجزء البقرة وعودة الحياة إليه ، وإخباره عن القاتل ... وتظليل الغمام لبني إسرائيل ... وإنزال المنّ ،، وهو حلوى ، والسلوى : وهو طائر لذيذ ، وغير ذلك من المعجزات الباهرات التي قصّها علينا القرآن الكريم ...

فرعون موسى عليه السلام

"كان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول.

وقيل: كانت من بني إسرائيل،فلما نودي موسى أعلم أن قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه ، وكان عمره طويلا، وكان أعتى من قابوس وأفجر، وأمر أن يأتيه هو وهارون بالرسالة.ويقال: إن الوليد تزوج آسية بعد أخيه، ثم سار موسى إلى فرعون رسولا مع هارون" [1].

---

(1) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المتوفى: 630هـ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط، 1، 1417هـ / 1997م، 1 / 150 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م 198/1 : الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ) ،الناشر: دار التراث – بيروت ،الطبعة: الثانية - 1387 هـ

المبحث الثالث

موقف أم موسى عليه السلام وأخته من تربية موسى

قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِـــهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص 28 / 10 - 13. أما أم موسى فقد استحوذت عليها تـــماما مسألة رمي ابنها في النهر، وملأت وجدانـــها [1]، وتـــجدر الإشارة هنا إلى أنه، بامتلاء الوجدان في مسألة مثل تلك التي سيطرت على قلب أم موسى، فمن الطبيعي أن تصبح الشغل الشاغل للعقل. ومتى يـــحصل ذلك يصبح الشخص المعني بالأمر في خطر من التفوه بالسر، نتيجة لاستعصاء الكلمات من شدة التعلق بما حدث. وقد كاد ذلك أن يحصل لأم موسى، لولا التثبيت السماوي لـــها فـــي قلبها، لتصدق بوعد الله عز وجل، بإرجاع موسى لـــها، بعد بلاء وصبر. والتثبيت الوجدانـــي، كقاعدة، ينير العقل. والإنارة العقلية تفتح السبل أمام

292/1

(1) في كلامي أحببت أن أقدم ملخص ما قاله المفسرون في تلك الآيات ولا بأس أن أذكر كلام الشيخ مـــحمد المكي الناصري في قوله تعالى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) أي أن أم موسى حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهشة، اعتقادا منها بأن مصير وليدها هو القتل لا محالة : محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير، 486/4

الشخص المعني بالأمر، للتصرف في الإطار الفعال الذي يـــحقق الأمر المتطلع إليه. وهذا ما تـــم لأم موسى، التي سعت لاسترداد ابنها، من طريق إرضاعه. قالت لأخته: " اتبعي أثره حتـى تعلمي خبره... فأبصرته على بُعد وهم لا يشعرون إنـــها أخته، لأنـــها كانت تـــمشي على ساحل البحر حتـــى وصل الصندوق إلى بيت فرعون، وهي ترقبه مستخفية عنهم". هذا، وبـــما أن وجودها تزامن، بتدبير ســـماوي، مع المنع الإلهي لـــموسى لقبول الرضاعة من أيٍّ من الـــمرضعات اللاتي أُحضرن له، فـــقد واتتها -أي أخت موسى- الفرصة للتقدم بالآتي كما ورد في التنزيل: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ القصص 12/28 ، وتعني هنا أم موسى، القادرة على رعايته، في أحسن وجه مـــمكن، لكونه ابنها _ الذي أوحى الله تعالى لها _ بالإفاضة المستقبلية عليه بشأن منزلته العظيمة. وقد وافق آل فرعون على طلب أخت موسى، فَردوا الطفل إلى والدته. وذلك حتى تشعر بالاطمئنان عليه، وهي ترضعه وترعاه كما تريد. فتذهب مـــخاوفُ بُعدهعنها. ثـــم تتأكد من مصداقية الوعد الإلهي لـــها، بإرجاع ابنها لـــها، وحـــمايته من أي شر قد يلحق به من فرعون تـــجاهه لسبب أو لآخر. وبوصولنا إلى تلك النقطة، يـــجدر بنا القول إنه في خضم التقديم القرآني لقصة الإيـــحاء الإلهي لأم موسى بوضعه في الصندوق وقذفه إلى النهر، وطمأنتها وجدانيا، حتى تـــحقق إرجاع طفلها لها بوعده، عز وجل، الأكيد، فالسياق القرآني يـــحمل في طياته المبادئ الأزلية الآتية:

أ- في أحوال استحواذ الحزن الشديد على الإنسان يـــحتاج للتعبير عن حزنه إلى ذكر

السبب أو التلميح عنه. ولكن حين لا يقع ذلك، فلا مجال للكتمان إلا بالربط الإلهي على فؤاد الإنسان المعنـــيِّ بالأمر. والربط يعني تزويده بقوة معنوية هائلة للصبر، علما بأن الصبر هو أساس الانضباط، لإبقاء ما يـــجب إبقاؤه في حيز الكتمان ، وهذا باعث للشكر، وللإيـــمان الصادق بالقدرة الإلهية على تفريج هم الـــمكروب، وإعادة حقوقه إليه، بعد صمود وصبر.

ب- أن الثبات الوجدانـــي يشكل عربة للتفكيـــر القويـــم، الذي يـــؤتـــي بالثمار الصحيحة في ظل الرعاية الإلهية.

ج- إن التحكم الإلهي بكل أمر- صغير أو كبير - عن علم لا حد لنهايته، وتـــهيئة الأسباب الكفيلة بإخراج الـــمظلوميـــن من مـــحنهم، في وقت عدم شعور الظالـــميـــن بـــما يـــحدث، يـــجر الظالـــميـــن للخسران تدريـــجيًّ

د- إعطاء أهـــمية خاصة للأم الـــمُحبة لطفلها، لـــما تكابده من آلام، ولـــما تعانيه، من خوف وقلق على ابنها.

هـــ- التأكيد على أن سنن الحياة قائمة على الحق والعدل، وأن الله تعالى يبطل الباطل بإرادته، في الوقت الذي يقضيه، بـــحكمة بالغة.

و- إن إدراك تلك الحقيقة يؤدي إلى طمأنة النفوس المظلومة، وتثبيتها بالصبـــر، لإخراجها من غُلبها، بعد عمل دؤوب، في ظل الرعاية الإلـــهية. وبالنسبة لـــموسى،فقد أفاض الله تعالى

عليه بالحماية اللازمة له، حتى بلغ أشدَّه .

الـــفـــصل الـــثـــالـــث

فـــقـــه الواقـــع عـــنـــد مـــوسى عليه السلام

وفيه مباحث

المبحث الأول

خروج موسى عليه السلام للمجتمع وفيه تـــجربتان له

خروج موسى عليه السلام للمجتمع

"بوصول موسى عليه السلام إلـــى سن الرشد، سن "نـــهاية القوة، وتـــمام العقل والاعتدال – وهبه الله تعالى– الفهم والعلم والتفقه فـــي الدين..." وذلك يـــقع في سياق التكريـــم الإلـــهي للمحسنيـــن، كما ورد في قول المولى عز وجل : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ القصص 14/28. والأشد: هو وقت استكمال القوة ثم يكون بعده النقصان. قيل: هو ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: بلوغ الحلم، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل غير ذلك " [1] . وهكذا بات موسى عليه السلام مستقلاً بنفسه، إذ إن أدوات الاستقلال هي القوة في التفكير وفـــي العلم والـــمعرفة ، والتبحر في الدين ، والـــمعاني ، في الـــحدود البشرية طبعاً. فقد خرج موسى عليه السلام إلى المـــجتمع الكبير، ليكون جزءاً منه، بـــمخالطته للناس، ومعرفته لـــهمومهم، وهو واحد منهم، حتى يتمكن من مساعدتـــهم في حدود إمكاناته كبشر. ولكن البشر، كقاعدة، يـــخطئون ويصيبون بـــحكم طبيعتهم، لأن الكمال لله تعالى وحده، لا شريك

---

(1) الشوكاني : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـــ) ،فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى – 1414 هـــ 18/3 : مقاتل: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـــ) تفسير مقاتل بن سليمان ،تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ،الطبعة: الأولى – 1423 هـــ: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـــ) ، فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى – 1414 هـــ ،440/3 :187/4: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـــ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـــ - 1964 م 254/13

له. والخطأ البشري قد ينشأ أحيانا عن انفعال نفسي، أو عن كبت، أو عن عدم تريث في الـــحكم على مسألة أو أخرى.

التجربة الأولى فى حياة موسى عليه السلام

قال المولى عز وجل: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـــٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـــٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَـــٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ القصص 15/28.

"كان موسى عليه السلام حين كبر يركب مراكب فرعون، ويلبس مثل ما يلبس، وكان إنما يُدعى موسى بن فرعون، ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى، فلما جاء موسى عليه السلام قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه الـــمقيل بأرض يقال لها منف [1]، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها، وليس في طرقها أحد، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ القصص 15/28. وقال آخرون: بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه، لأنه كان قد خالفهم في دينهم، وعاب ما كانوا

(1) منف: بالفتح ثم السكون وفاء: اسم مدينة فرعون بمصر، قال القضاعي: أصلها بلغة القبط مافه فعرّبت فقيل منف، قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بإسناده: أول من سكن مصر بعد أن أغرق الله تعالى قوم نوح، عليه السّلام، بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهي أول مدينة عمّرت بعد الغرق، وقيل: هي أول مدينة بنيت بأرض مصر بعد الطوفان لأن بيصر والد مصر قدم إلى هذه الأرض في ثلاثين نفسا من ولده وولد ولده، وذكر بعضهم أن من مصر لمنف ثلاثين ميلا كانت بيوتا متصلة، وفيها بيت فرعون قطعة واحدة سقفه وفرشه وحيطانه حجر واحد أخضر. الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـــ)، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م 5 / 213

عليه"[1]. إن ما حدث غير مقصود من جانب موسى عليه السلام: حيث دخل مصر وقت الظهيرة والناس يخلدون للراحة عند القيلولة، فوجد شخصين يتقاتلان: أحدهما من بنـــي إسرائيل من جـــماعة موسى عليه السلام، والآخر قبطي من جـــماعة فرعون، فاستنجد الإِسرائيلي بـــموسى عليه السلام وطلب غوثه ليدفع عنه شر القبطي، فضربه موسى عليه السلام بـــجمع كفه فقتله، قال القرطبي[2] : " فعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله إنما قصد دفعه فكانت فيه نفسه وكانت القاضية "[3] ، ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ القصص 15/28 أي هذا من إغواء الشيطان فهو الذي هيَّج غضبي حتى ضربت هذا ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ القصص 15/28 أي إن الشيطان عدوٌ لابن آدم على فعله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغفِر لِي ﴾ القصص 16/28. أي إني ظلمت نفسي بقتل النفس

---

(1) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى: 310هـــ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـــ - 2000 م، 19 / 537 : الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـــ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1420 هـــ ،583/24 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـــ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـــ - 1997 م،196/6

(2) القرطبي:محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي. مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. سمع من ابن رواج، ومن الجميزي وعدة. وروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد. قال الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة إطلاعه ووفور فضله.مات بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة (671هـــ-1273م) :السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـــ) طبقات المفسرين العشرين تحقيق: علي محمد عمر الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة: الأولى، 1396

(3) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـــ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـــ - 1964 م 3 / 261 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـــ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـــ - 1968 م، 224/6

فاعف عني ولا تؤاخذني بخطيئتي ﴿ فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفور الرحيم ﴾ القصص 16/28 . أي إنه تعالى المبالغ في المغفرة للعباد، الواسع الرحمة لهم ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص 17/28 . أي بسبب إنعامك عليَّ بالقوة وبحق ما أكرمتني به من الجاه والعز، فلن أكون عوناً لأحد من المجرمين، وهذه معاهدة عاهد موسى عليه السلام ربه عليها" [1] .

إن بني اسرائيل كانوا فئة مقهورة، في الإطار العام، زمن فرعون، ولكن حتى مع ذلك، فقد تبرز جماعة انتهازية، تسعى للفتن وإثارة الشغب من أجل تحقيق أهدافها. وفي سبيل ذلك، قد تفتعل أحداثاً ظالمة، تضع كاهل ظلمها فيها على غيرها. فالظاهر أن الإسرائيلي الذي تخاصم مع القبطي، انتهز فرصة تفضيل فرعون للأقباط إجمالاً على بني إسرائيل، وبطشه بهم، ومن ثم اتجه لمشاجرات مع الناس العاديين من الأقباط. هذا مع العلم، أنه يجب التفريق دوماً بين طغيان الحاكم وحكومته، والناس العاديين، الذين لا ذنب لهم، في ما يجري، بل على العكس، فقد يظلمون كغيرهم، لو تحدَّوا السلطة. وعليه، فيمكن أن يكون القبطي، رجلاً عاديا، افتعل له الإسرائيلي حادثة، لمصلحة له، واستنجد بموسى عليه السلام لتحقيق هدفه.

---

(1) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 392 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م : الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1420 هـ 585/24،

أمرٌ أدركه موسى عليه السلام بعد أن حصل ما حصل، فندم واستغفر ربه، لظلمه لنفسه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص 16/28.

وتـــجدر الإشارة هنا إلى أن موقف موسى عليه السلام يشعر بالتعهد بضبط النفس من الانفعال لاحقاً، حتى لا يقوم بعمل يؤدي إلى ظلم أي إنسان. فالـــمهم هو تـــحقيق العدل، وإقرار كلمة الـــحق ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص 17/28 "وبعد أن غفر الله له عاهد ربه على أن لا يتورط فيما يؤدي إلى مثل ما أدى إليه هذا الحادث، فكم من مظلوم يلتبس أمره على الناس فيظن أنه من الظالمين، وكم من ظالم يخدع الناس بأنه مظلوم وهو من كبار المجرمين. وقد استنبط أهل العلم رضي الله عنهم من هذه الآية توجيها أخلاقيا دقيقا، ألا وهو وجوب البعد عن مناصرة الظلمة والفسقة، وعدم إعانتهم على ظلمهم وفسقهم بالمرة، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ هود 113/11" [1]. وقد روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : "(تحجزه ، أو تمنعه ، من الظلم فإن ذلك نصره)" [2]

(1) الناصري: محمد المكي الناصري، التيسير في احاديث التفسير، 495/4

(2) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري، حديث 6952 (باب: يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422هـ 9 / 22

التـــجربة الثانية في حياة موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ القصص28/ 18 – 19 .

"فأصبح موسى عليه السلام في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفاً على نفسه يتوقع وينتظر المكروه، ويـــخاف أن يؤخذ بـــجريرته، فإذا صاحبه الإِسرائيلي الذي خلَّصه بالأمس يقاتل قبطياً آخر فلما رأى موسى عليه السلام، أخذ يصيح به مستغيثاً لينصره من عدوه، قال موسى للإِسرائيلي: إنك لبيِّـــنُ الغواية والضلال، فإني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه من قتل رجلٍ بسببك وتريد أن توقعني اليوم في ورطةٍ أخرى؟. فحين أراد موسى أن يبطش بذلك القبطي الذي هو عدوٌ له وللإِسرائيلي قال القبطي: أتريد قتلي كما قتلت غيري بالأمس؟. ما تريد يا موسى إلا أن تكون من الجبابرة المفسدين في الأرض، وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس"[1]. وهنا وقفة، وهي أنه شاءت القدرة الإلهية في أن ينشأ موسى عليه السلام في بيت فرعون، ولعل الحكمة فـــي ذلك إعطاؤه الفرصة لكي يتعلم أساليب القيادة في أعلى مستوياتها، وهذه ليست متوفرة لبني إسرائيل في مصر آنذاك

(1) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير 393/2 : الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـــ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – 1420 هـــ ،586/24: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـــ) ، فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى – 1414 هـــ ،440/3 :190/4

الذين كانوا يعيشون تحت قيود الرق والاضطهاد، كما أنـــها وفرت لـــموسى عليه السلام الاطلاع، ومن موقع القرار على الواقع الـــمرير الذي تعيشه الأمة والتعرف على الظلم والفساد الواقع على بني إسرائيل خاصة، وشعب مصر عامة من جراء حكم بلغ في الطغيان مبلغاً لم يسبقه أحد من قبل ولا من بعد.

هذه المعرفة، بلا شك ولَّدَت عند موسى عليه السلام الرغبة القوية في التغيير والإصلاح، أو على الأقل القيام بأي عمل من شأنه أن يخرج بني إسرائيل مما هم فيه ويغير واقعهم إلى ما هو أفضل. كانت الوسيلة الأولى التي لجأ إليها موسى هي مواجهة الظلم بالعنف، وهي ردة فعل بدائية غريزية عند الإنسان، خصوصاً أن الله وهب موسى عليه السلام قوة في الجسم، كما أنه تعلم من ملازمة فرعون أن القوة والعنف هي الخيار الأول في مواجهة العديد من المشكلات، فهو بلا شك يدرك أن فرعون لما علم بأن الشخص الذي يقود بني إسرائيل نحو الخلاص سوف يولد في العام الذي ولد فيه موسى عليه السلام، كان الحل الذي اختاره هو العنف بأقسى صوره، وهو قتل جميع الأطفال الذكور الذين يولدون لبني إسرائيل في تلك السنة. ولذلك كان العنف هو الوسيلة التي لجأ إليها موسى عليه السلام في أول اختبار له لما دخل المدينة، فأيقن موسى بفطرته السليمة أن القتل وإراقة الدماء ليست الوسيلة الصالحة لإحداث التغيير الاجتماعي المطلوب، لذلك وصفها بأنها "من عمل الشيطان"، ثم إنه لجأ إلى الله طالبا المغفرة، وأخيرا عاهد الله على أن يكون ناصرا للحق والعدل وأن لا يكون ظهيرا للمجرمين. إذا فالقضية الأساسية التي كان موسى عليه السلام يسعى من أجلها، هي

الإصلاح، ففي الحقيقة أن قتل الرجل المسكين لم يغير شيئاً من الواقع، فالظلم بقي كما هو والعبودية المفروضة على بني إسرائيل بقيت و لم تتغير، اللهم إلا أن موسى أصبح طريداً ومطلوبا في قضية قتل. لكن موسى، ومع إقراره بخطأ العنف ووصفه له بأنه من عمل الشيطان إلا أنه لم يكن يعرف وسيلة غيره للإصلاح، وذلك أنه عندما واجه نفس الموقف في اليوم التالي ومن نفس الشخص الذي استغاثه بالأمس همّ موسى عليه السلام بأن يبطش به كما فعل بالأمس. لكن الحقيقة التي واجهت موسى، هي أن قتله عليه السلام للقبطي الأول، وهـــمه بالبطش بالثانـــي، قد أديا إلى إثارة فرعون وآله عليه. فقد رأوا في موسى عليه السلام خطراً على سلطتهم. ومن هنا، قرروا فعل شيء ضده . فلحتمع الـــملأ وتشاوروا في موضوع قتل موسى عليه السلام، كما ورد في قول الباري تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ القصص 20/28. جاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيـــمانه من أبعد أطراف الـــمدينة يشتد ويسرع فـــي مشيه، – قال ابن عباس [1]: هذا الرجل هو مؤمن من آل فرعون – يا موسى: إن أشراف فرعون، ووجوه دولته يتشاورون فيك بقصد قتلك، فاخرج قبل أن يدركوك فأنا لك من الناصحين. يظهر من ذلك، أن اجتماع الـــملأ

(1) : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: جـــمعه: مـــجد الدين أبو طاهر مـــحمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المتوفى: 817 هـــ، دار الكتب العلمية – لبنان، 325/1: الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،545/19 : القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـــ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـــ - 1964 م 265/13

قد كان في مكان بعيد عن مرأى فرعون وغيـــره، وذلك بقصد التشديد على إبقاء ما تـــم الاتفاق عليه، في حيز السرية، خوفا من علم موسى بالأمر، ومغادرته للمدينة، قبل الظفر به وتـــحقيق ما تشاوروا عليه. ولكن مهما اتـــخذت جـــماعة ظالـــمة من إجراءات، لإخفاء ما تُدبره ضد إنسان لا يعلم بـــما يـــجري من كيد خلفه، فإن الله تعالى يهيئ الأسباب لإخراج الأسرار إلى العلن، بعلمٍ لا يـــحده شيء. وبـــهذا الإطار، فقد هيأ الله تعالى لـــموسى عليه السلام، الـــمعرفة بالـــمكيدة ضده. وذلك، من خلال شخص مؤمن من آل فرعون، أخفى إيـــمانه عنهم. وإيـــمان ذلك الإنسان يعنـــي أنه لـــم يكن راضيا عن ظلم فرعون وآله، وأنه ربـــما رأى في وجود موسى إمكانية حدوث تغيير في الأوضاع. والإيـــمان يعني أيضاً رفضاً لفكرة تأليه فرعون لنفسه، لأن ذلك يتنافـــى مع عقيدة التوحيد. ولذلك ربـــما كان هذا الرجل يتطلع، إلـــى تصحيح الأمور روحيا. وأنه لـــما كان يدرك بأن موسى يـــمتلك القدرة على إنـــجاز الـــمراد، بـــما آتاه الله تعالى من حكم، وعلم، وتفقه في الدين، رأى ضرورة إنقاذه، من خلال إبلاغه بتشاور الـــملأ على قتله، وطلب منه الـــخروج كناصح. ومن الواضح أن موسى صدقه، وخرج من الـــمدينة، بناء على تـــجربـــتي موسى الـــمريرتيـــن في مـــجتمح الـــمدينة ككل، بأن هاتين الـــتجربتيـــن تبيِّنان ضمنيا أن حياة موسى عليه السلام، سوف تكتنفها الصعاب، لا الصعاب الآتية من مكائد آل فرعون فحسب، بل الصعاب الآتية من أفراد قوم موسى عليه السلام، بنى إسرائيل. فموقف الإسرائيلي الذي استنجد مرتين بـــموسى، موقف يتسم

بالأنانية واللا مسؤولية. وشخص بنفسية ذلك الإسرائيلي، لا يهمه إلا مصلحته، ينضم إلى جانب موسى إن رأى أن مصالحه تحقق بذلك الانضمام. ولكن من يعرف، فلو لم يسر الأمور على هواه، فقد يتخذ موقفاً عدائياً من موسى نفسه.

المبحث الثاني

رحلات موسى عليه السلام

قال المولى عز وجل: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ

نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص 28 / 22-26 .

الرحلة الأولى

توجه موسى عليه السلام من مصر نحو مدين [1] بهدى الرعاية والعلم الإلهي. والظاهر أنه اختار مدين بالذات لبعدها عن سيطرة فرعون. ووصل سالماً إليها بعد معاناة سفر استمر بضعة أيام، وهو يعتمد في أكله على ما يجده من عشب. وبوصوله، اختار مكاناً للسقاية، ربما لأمرين:

-أولهما: أخذ حاجته من ماء الشرب.

- وثانيهما: التعرف على وضع البلد من الموجودين هناك، والتطلع لإيجاد من يمكن أن يؤويه حتى يبدأ بالعمل في ذلك البلد.

وحقق هدفه بتعرُّفه الوضع الاجتماعي من حيث العلاقات البشرية، عبر ملاحظته، وحديثه مع امرأتين وقفتا مع غنمهما في زاوية، في وقت ازدحام الرجال حول البئر للسقاية. فقد تبين كما يظهر السياق، أن سيطرة الرجال على المجتمع، لكونهم أقوى من النساء أمر بارز، وأن الرجال يتولون أموراً مثل سقاية الأغنام، وأن منظر المرأة التي

(1) مدين: قال أبو زيد: مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى، عليه السلام، لسائمة شعيب، قال: ورأيت هذه البئر مغطاة قد بني عليها بيت وماء أهلها من عين تجري، ومدين اسم القبيلة، وطولها إحدى وستون درجة وثلث، وعرضها تسع وعشرون درجة، وهي مدينة قوم شعيب . وقيل: مدين اسم القبيلة، ولهذا قال الله تعالى: "وإلى مدين أخاهم شعيبا "، وقيل: مدين هي كفر مندة من أعمال طبرية وعندها أيضا البئر والصخرة . الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م 5 / 78

تضطر للسقاية منظر غريب إجمالا. ولـــهذا، فوقوف الـــمرأتين اللتين تـــحدث موسى إليهما، كان منبعثاً من الحرج الذي شعرتا به. وقد طلبتا من موسى عليه السلام إعانتهما بالسِّقاية، بعد أن شرحتا له أن سبب وجودهـــما بالـــمكان هو عدم وجود رجل معيـــن لـــهما، ولأن والدهـــما شيخ مسن ضعيف. فلبَّـــى موسى عليه السلام الغرض، بلطف وتـــهذيب، واحترامهما كامرأتين أمر غير معهود برجال مدين. ومن هنا، حملتا له كل تقدير واحترام. ونـــقلتا ما حدث لوالدهما، فتشوق لرؤيته لرد جـــميله بـــجميل مـــماثل، لاسيما وأن موسى عليه السلام كان بـــحاجة ماسةٍ لطعام ومأوى.

أحببت أن أذكر قول الشيخ محمد المكي الناصري هنا حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ : "فارق موسى عليه السلام موقع السقي المعرض لأشعة الشمس، والتجأ إلى ظل ظليل، اتقاء لشدة الحر، واستجماما من عناء السفر الطويل. وبعدما تنفس موسى الصعداء، من ألم الجوع وشدة الإعياء، وهو وحيد فريد، توجه مرة أخرى إلى ربه الذي نجاه من القوم الظالـــمين، يسأله الرفد والـــمدد، والعطاء الذي لا ينفد . والظاهر أن المرأتين اللتين أسعفهما موسى وسقى لهما استرق سمعهما ما تردد على لسانه من التوجه إلى الله، وكان موسى يعتقد أنه لم يسمع أحد صداه، فغلب على ظنهما أن موسى جائع يـــحتاج إلى ما يسد رمقه، لكنه يتعفف ولا يصرح بالسؤال، وأخبرتا والدهما " بعابر السبيل " الذي وفد على بلدهما، وما يبدو عليه من جـــميل الخصال وتبدل الأحوال، فقال

لهما أبوهما (صالح مدين وشيخها الكبير) " إذا هو جائع وينبغي إطعامه " [1] . وعادت إحدى بناته لنقل رسالة والدها لـــموسى بـــخجل، وذهب موسى لـــمقابلة والدها ذاك. وفعلا قابله، وقص عليه قصة هروبه من مصر، لتشاور آل فرعون في قتله، وكان الخوف لا يزال بادياً على موسى عليه السلام، فطمأنه والد الـــمرأتيـــن، -واســـمه شعيب، كما ذكره القرطبي- بأنه فعلا في البلد الـــمناسب، الـــخارج عن سلطان فرعون، كما اختار عليه السلام، وأنه آمن بالرعاية الإلـــهية. والقصة تبين أن الله تعالى اختار لـــموسى ذلك البيت بالذات، حتى يتزوج من إحدى بنات الرجل الشيخ، بطلب من ذلك الرجل، وبشروط وافق عليها موسى عليه السلام. وتلك تظهر في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ القصص 28.27/28 . هذا، وقد تم زواج موسى عليه السلام من ابنة الشيخ، وأتـــم عشر سنيـــن في رعاية غنم ذلك الشيخ، بعمل دؤوب متسم بالصدق، والإخلاص، والوفاء. ويؤيد هذا الرأي ما رواه البخاري في صحيحه، عن سعيد بن جبير، قال: " سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى، قلت: لا أدري، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت، فسألت ابن عباس، فقال: (قضى أكثرهما، وأطيبهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل)

(1) الناصري: محمد المكي الناصري، التيسر في أحاديث التفسير 505/4

.[1]

الرحلة الثانية

وبعد ذلك أتى الوقت المعلوم لمغادرة مدين، والعودة إلى مصر بعد طول غيبة. في الواقع، ترك موسى مصر متوجهاً لمدين بالرعاية الإلهية، مما يبين أهمية التوحيد، والآن يعود من مدين إلى مصر في مظلة الحماية الإلهية له، مما يبرز مرة أخرى أهمية التوحيد أيضاً. بمعنى أن مسار الأحداث جرى بقضاء إلهي. فالله تعالى هو الذي هيأ الوسائل لإنقاذ موسى من بطش آل فرعون. فرعاه، وأمَّن له العيش في مدين، ولما باتت الأوضاع في مصر تسمح برجوعه، هيأ له عز وجل وسائل العودة، وذلك ليقف، في مرحلة قادمة، بقوة أمام ظلم فرعون، بتكليف إلهي له .

الفصل الرابع

تثبيت الله تعالى لموسى أمام فرعون

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، حديث: 2684(باب: من أمر بإنجاز الوعد) 3 / 181 ، المزي : جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: 742هـ) ، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة الطبعة: الثانية: 1403هـ، 1983م ،415/4

وقد اشتمل على مباحث

المبحث الأول

كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام

"في طريق عودة موسى إلى مصر، مع عائلته من مدين. ومن حكمة الله وقدره العجيب، أن الطقس كان باردا يتوقف على التدفئة، وأن الجو كان قاتـــما يتوقف على الإنارة، فاحتاج موسى إلى نور ونار، وبينما هو كذلك" [1]، رأى ناراً تضيء على بعد، فقال لأهله، امكثوا مكانكم لعلي أحضر لكم شعلة من تلك النار للاستدفاء بـــها، أو أجد

(1) الناصري: محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، 4/ 523

من يرشدنـــي إلى الطريق الصحيح. بيد أنه حينما " أتى النار وجدها نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء ". وذاك يشير إلى أن ما رآه كالنار لـــم يكن ناراً كما ظن، بل نور الله عز وجل. وهنا، وهو في الوادي الـــمقدس طوى، حصل الآتي : قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ *إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّـــهُ لَا إِلَـــٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ طـــــــــــــه 20 /11 - 16. في أجواء روحانيه مهيبة، تـــخشع فيها الطبيعة مع الإنسان لله تعالى، خالق الكون وكل ما فيه، وإذ بـــموسى عليه السلام يكرم بالـــمناداة الإلـــهية له. وأول ما يسمعه: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طـــــه 12/20. وذاك يـــحمل في طياته أن موسى بشر، وأنه أنزل عليه الكتاب. فالله واحد، وهو الـــمهيمن على الوجود، السميع البصير. أما وأنه تعالى الـــمتفرد بالألوهية، فالـــخضوع الـــمطلق يكون له وحده، جل شأنه، وعلى الإنسان، طاعة الأوامر الإلـــهية تعبيرا عن خضوعه للسماء. وبـــهذا الإطار الروحي، أمر الله تعالى موسى بفعل الآتي ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه 20 /12. كان على موسى أن يسير حافيا في بقعة مباركة، طاهرة وذلك من أجل أن يكون "معظماً لـــها وخاضعاً عند ســـماع كلام ربه ".

الاصطفاء للنبوة والرسالة وما تلاها من أمور

"وعند تلك النقطة، أخبره الله تعالى باصطفائه للنبوة، قال تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ طه 13/20. فيه نهاية الهيبة والجلالة فكأنه قال: لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا إليه فقوله: وأنا اخترتك يفيد نهاية اللطف والرحمة وقوله: فاستمع يفيد نهاية الهيبة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف" [1]. وذاك يعني أن الله أمر موسى بالانتباه الكلي إلى قوله عز وجل: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّـهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ* فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ طه 14/20-16. إن أهم مبدأ روحي في تلك الآيات هو التوحيد ، فما من إله غير الله تعالى ، رب موسى ، وإله العالمين . وذاك يؤكد أنه لا يجوز قط تأليه بشر، وكأن في ذلك إرشادا سماوياً لموسى لمجابهة أي فكرة تأليه لإنسان بقوة العلم والإيمان ، خصوصاً أنه كان في طريق عودته لمصر، حيث ألَّه فرعون نفسه. هذا، وإن مصدر الإيمان ، الذي يزود الإنسان بقوة المجابهة، لأي متأله ظالم _ هو العبادة لله تعالى وحده لا شريك له. والعبادة هي التعظيم لله عز وجل، من خلال فرائض ملزمة روحيا

(1) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م، 267/5

لأبناء البشرية، وقد جاء ذكر الصلاة بتكليم الله تعالى لـــموسى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه 14/20. والصلاة كتعريف هي: "الاتصال بالله إيمانا به، والتماساً للعون منه والـــمؤمن الصادق الإيـــمان هو من يتوجه بقلبه إلى الله ساعة الصلاة، يُشهده على تقواه ويستعينه على أداء واجب الـــحياة، ويستمد منه هدايته، ويستلهمه توفيقه لإدراك سر الكون وسننه ونظامه". وبـــهذا الـــمعنى، فالصلاة تزود موسى عليه السلام بالعلم الضروري، لـــمـــجابـــهة فرعون من جهة، والقوة للصمود والصبر من جهة أخرى، طالـــما أنه لا مفر من تلك الـــمجابـــهة بعد وصوله لـــمصر، بـــخلفيته التي تم التحدث عنها. والـــمجابـــهة تلك، معنية بإبطال الظلم الـــمتجسد في تآليه فرعون لنفسه، وما يتبع ذلك من بطش بالضعفاء، وهي تشكل جزءاً من مسؤولية موسى عليه السلام في الدنيا، كما سوف يظهر السياق القرآني فيما بعد. والـــمسؤولية هي أمانة التكليف التي فرضها الله تعالى على الإنسان بشقين: العبادة والعمل. العبادة من أجل الحصول على كل الـــمقومات الأخلاقية والذهنية الضرورية للعمل، والعمل هو بناء الـــمجتمعات وتنظيمها على أسس من العدل والـــحق. هذا، مع العلم أن حساب الإنسان يتبع أعماله. وذاك يعني، أن الحياة الدنيا هي ليست آخر الـــمطاف للإنسان، إذ إن خلوده في الآخرة. فالـــموت هو خاتـــمة كل إنسان على الأرض، والساعة آتية بالتأكيد قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ طه 15/20 ، "فأما الساعة فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل العادل، الذي تتوجه إليه النفوس فتحسب حسابه وتسير في الطريق وهي

تراقب وتحاسب وتخشى الانزلاق.. والله سبحانه يؤكد مجيئها: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ﴾ وأنه يكاد يخفيها. فعلم الناس بها قليل لا يتجاوز ما يطلعهم عليه من أمرها بقدر ما يحقق حكمته من معرفتهم ومن جهلهم" [1].

"والسر في قوله تعالى ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ، فهذا التعبير القرآني يحمل في طياته إشارة مضيئة إلى أن الإنسان مطالب، بما أودع الله سبحانه وتعالى في كيانه من قوى عاقلة مدركة، بأن يتجنب الشر، ويتجه إلى الخير، وأن يتنكب طرق الضلال، ويأخذ طريق الهدى، وبذلك يكون مهيئاً تلقائياً للقاء الآخرة، وللفوز برضوان الله فيها. أما من زهد في عقله، وتنكر لفطرته، فركب طريق الغواية والضلال فإن ما يلقاه في الآخرة من عذاب وبلاء، هو الجزاء العادل الذي يستحقه. فقوله تعالى: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ، التي كلم بها الله تعالى موسى ، تهدف لإعطائه الأمر للعمل في سبيل تثبيت التوحيد، وإنقاذ المستضعفين من الظلم ، مع التحسب لقيام الساعة ، دون إفساح في المجال لأي شخص لصده عنها ، كما ورد في قوله العزيز ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ طه 16/20 ، أي لا يصرفنك يا موسى عن التأهب للساعة والتصديق بها من لا يؤمن بها ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ أي مال مع الهوى وأقبل على اللذائذ والشهوات ولم

---

(1) سيد قطب: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ، 4/ 2331 : القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م 182/11: البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،258/3

يـــحسب حسابا لآخرته ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ أي فتهلك ، فإن الغفلة عن الآخرة مستلزمة للهلاك" [1]. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي* إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ طه 20 / 11- 16.

ذكر الشيخ المكي الناصري في تفسيره ، في قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه 20 / 11- 12 ، إشارة إلى أن خلع النعلين تصرف مناسب للخشوع والتواضع عند مناجاة الحق سبحانه وتعالى من جهة ، ومظهر من مظاهر احترام الأماكن المقدسة وتعظيمها من جهة أخرى ، وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت فدخلوا الحرم حفاة دون نعال . قال القاضي أبو بكر ابن العربي : " إن قلنا إن خلع النعلين كان لينال بركة التقديس فما أجدره بالصحة ، فقد استحق التتريه عن النعل ، واستحق الواطئ التبرك بالمباشرة ، كما لا تدخل الكعبة بنعلين ، وكما كان مالك لا يركب دابة في المدينة براً بتربتها المحتوية على الجثة الكريمة " [2]. "والمراد بالمقدس

---

(1) الصابوني: صفوة التفاسير 212/2 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م،276/5 : القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م 3 / 171/11،261

(2) أبو بكر بن العربي: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) ، أحكام القرآن ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م ، 254/3 -- في طوى وجوه: الأول: أنه اسم للوادي وهو قول عكرمة وابن زيد. والثاني: معناه مرتين نحو مثنى أي

المطهر ، من القدس بمعنى الطهر . ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ طه 13/20 ، وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ طه 13/20 ، إشارة إلى أن حسن الاستماع لكلام الله ووحيه أمر مرغوب فيه ، قال وهب بن منبه [1] : من أدب الاستماع سكون الجوارح ، وغض البصر ، والإصغاء بالسمع ، وحضور العقل ، والعزم على العمل ، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى " [2]. ويوجد تناسب تام بين أمر الله تعالى لموسى بالاستماع هنا وخطابه لجمهرة المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون ﴾ الأعراف 7/ 204، وقد مدح الله ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ الزمر 39/ 18 ، ووصفهم بقوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّه ﴾ الزمر 39/ 18. ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه 14/20 ، وقوله تعالى خطابا لموسى عليه السلام : ﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه 14/20 ، يعم كافة المكلفين

قدس الوادي مرتين أو نودي موسى عليه السلام نداءين يقال ناديته طوى أي مثنى : الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ 19/22

(1) وهب بن منبه: الابناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله (34 – 114 هـ = 654 – 732 م) : مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر :الأعلام للزركلي (8/ 126)

(2) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م 176/11: الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،283/18 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م،244/5

، ويصدق عليهم أجمعين ، وهذه الآية تحتمل جملة من المعاني ، باعتبار أن لفظ " الذكر " الوارد فيها إما أن يكون مصدرا مضافا إلى الضمير ، أو مضافا إلى الفاعل ، أو مضافا إلى ضمير المفعول ، كما نبه على ذلك القاضي أبو بكر ابن العربي ، فيكون معنى الآية أقم الصلاة لتذكرني فيها عند المناجاة ، وهذا هو السر في تسمية الصلاة ذكرا ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ الجمعة 62/ 9 ، أو أقم الصلاة لأذكرك في ملأ خير من الملأ الذي ذكرتني فيه ، أو أقم الصلاة إذا ذكرتها أو ذكرت بها ، ويرتبط بهذا المعنى الأخير قوله صلى الله عليه وسلم : (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها) [1] . أما قوله صلى الله عليه وسلم : (رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى يستيقظ)... الحديث [2] ، فالمراد به رفع الإثم لا رفع الفرض عنه ، إذ لا بد من توفية التكليف حقه بإقامة القضاء مقام الأداء ، ونقل القاضي أبو بكر ابن العربي معنى آخر لهذه الآية ، إذ قال ما خلاصته : " قالت المتزهدة : معنى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه 20 / 14 أقمها لمجرد ذكري ، ولا تذكر فيها غيري " . ثم عقب ابن العربي على ذلك قائلا : "

---

(1) مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 477/1

(2) الحاكم : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) ، المستدرك على الصحيحين ،تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990 ،67/2 : أبو داود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت 139/4 :قال الالباني صحيح.

وهذا لمن قدر عليه هو الأولى ، فمن لم يفعل كتب له منها بمقدار ذلك فيها " [1].

في هذه الآيات تزود موسى عليه السلام بالمقومات اللازمة لمجابهة فرعون، من خلال إطار روحي محكم تماما، ويتضمن الآتي:

أ- وجوب تنفيذ موسى كبشر، لكلام الله عز وجل.

ب- التقدم بالعبادة لله تعالى وحده، إلزاميا، مع تخصيص للصلاة هنا لكبر شأنها.

ج- التأكد من حقيقة أن دار الدنيا هي دار الفناء. دار الأعمال التي يحاسب الإنسان بموجبها يوم القيامة، وتلك الأعمال تقع في بوتقة مسؤولية التكليف، التي تجمع ما بين الجانبين الروحي، والدنيوي معا. هذا، وباتباع دقيق للأوامر الإلهية من جانب موسى عليه السلام، فسوف يحظى بالقوة المتطلبة لإداء مهمته في مجابهة فرعون، كأول مسؤولية روحية ألقيت على عاتقه. والقوة هنا روحية. فالإنسان ضعيف بنفسه بموجب خلقه، وهو بحاجة ماسة باستمرار لتقويته، ولن يتم ذلك إلا باتباع ما أمر به سماويا. هذا، والقوة الروحية بدورها تشكل العجلة لتقوية الإنسان خلقا، وتفكيرا. فالمؤمن بالله العلي العظيم يسمو بنفسه إلى أعلى المراتب، وعليه يؤدي واجبه عن مبدأ، بتضحية وثبات، وصبر. أما من جانب التفكير، فالإيمان هو الذي يقوي العقل،

(1) بن العربي : القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، أحكام القرآن ،راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م ، 256/3

وينميه، فيزيد من قدرته على رؤية الأشياء في إطارها الصحيح. على أنه بتقوية الجانب الخلقي والعقلي للشخص المعني بالأمر، تقوى بصيرته، فيرى جوهر الأمور. فكفة النجاح من منظر الرؤيا لجوهر الأمور، هي دائمأ أقوى بكثير من العمل من منطلق ظواهر الأشياء. وبـــهذا الإطار، نرى كيفية تدريب موسى عليه السلام، بالقضاء الإلهي الذي لا يرد، على مـــجابـــهة فرعون. ولكن، لزيادة في التدريب ذاك.

المبحث الثاني

تقوية موسى عليه السلام بمعجزتين وفيه مطالب

المطلب الأول: تقوية موسى عليه السلام.

أيَّد الله عز وجل أنبياءه بمعجزات ، وهي أمور خارقة ، وغالبًا ما تكون من جنس ما برع فيه قوم النبي ؛ فقوم موسى برعوا في السحر فجعل الله موسى يلقي عصاه فتتحول إلى ثعبان مبين، وقوم عيسى برعوا في الطب فداوى عيسى-عليه السلام- الأبرص والأعمى وأحيا الموتى بإذن الله ، وبرع العرب في البلاغة والشعر فأنزل الله إليهم القرآن ، فكان معجزة لهم عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ طه 20/ 17 - 22 ، وقال عز من قائل: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا

جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ القصص 28 / 32.31 ، فأيد الله تعالى موسى عليه السلام بالعصى و اليد وأخيه هارون تقوية له وللدعوة إلى التوحيد.

المطلب الثاني: المعجزتان

قال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ القصص 28/ 31، 32 ، "وحيث إنه كان يحمل معه عصاه التي يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه خوطب في نفس الوقت بأمر إلهي مطاع : ﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ... ﴾، فألقاها من يده في الحين ، وإذا به يفاجأ بآية العصا، تلك الآية التي سيواجه بها في الأيام القادمة فرعون وملأه ، ويبطل بها سحر السحرة الذين حشرهم فرعون من جميع أطراف مملكته ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ... ﴾ من دون أن يلتفت إلى الوراء ، وذلك لهول المفاجأة وشدة وقعها ، ويتداركه الحق بلطفه ويهدئ روعه في الحين ، قائلا : ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ... ﴾ . ثم يجري الحق سبحانه وتعالى على اليد التي كان موسى يحمل بها عصاه آية ثانية، فيغاير بين لونها ولون جسمه العادي، وتصبح بيضاء ناصعة البياض لها شعاع وبريق، لكن من غير عاهة ولا برص ، ويتلقى موسى

خطاب ربه قائلا : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ... ﴾ ، على غرار قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى...﴾ ، ثم يدعوه سبحانه وتعالى إلى أن يضبط نفسه ويتجلد ، ويسلك مسلك أولي العزم من الرسل، فلا يجزع ولا يخاف ، لأن العناية الإلهية ستحيطه كما أحاطتهم بخفي الألطاف ، وهذا ما يشير إليه الخطاب الإلهي الموجه إلى موسى إذ يقول : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ ، ثم كشف الخطاب الإلهي عن السر فيما آتاه الله لموسى الكليم عليه السلام ، من الرعاية والتكريم، إذ قال تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ ، إشارة إلى أن تحويل عصا موسى بأمر الله إلى حية تسعى في الوقت المناسب، وتحويل يده من حالتها الطبيعية ، إلى يد بيضاء تتلألأ ، لها شعاع وبريق ، إنما هما برهانان على صدق رسالته، وصحة نبوته ، أكرمه الله بهما ليتغلب على عناد فرعون ومغالطته ، عندما يُقبل على مخاطبته ، ويتوجه إليه بدعوته ، وعقب كتاب الله على هذا القرار الإلهي الحكيم بأن فرعون وملأه قد جاوزوا الحدود في تصرفاتهم ومعاملاتهم وحياتهم الخاصة والعامة، فلا بد من أن يوجه إليهم الإنذار الأخير، قبل الإعذار وسوء المصير ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾" [1].

المطلب الثالث: أهداف المعجزتين

شاء الله تعالى أن ينعم على موسى عليه السلام بمعجزتين، وهدف ذلك:

(1) الناصري: التيسير في أحاديث التفسير 523.524/4

أ- الزيادة من تثبيت قلب موسى على الـــمواجهة القادمة تلك. فتثبيت القلوب البشرية يأخذ أكثر من إطار واحد، ومهما تثبت القلب، وعلت بتثبيته ذاك شجاعة الشخص الـــمعني بالأمر: فلن يتجرد قلب بشر من خوف، ولذا يبقى الإنسان في حالة دعاء لله تعالى لتثبيت فؤاده على كل حال.

ب- أن الإفاضة على موسى بالـــمعجزتين هي الدليل على إثبات مصداقية نبوة موسى عليه السلام، من كل من يـــمتلك فكراً ونظراً صائباً. هذا مع العلم أن الفكر الصائب لا يـــجتمع مع الاستكبار، لأن الاستكبار مرتبط بالغرور، والغرور بالسطحية. ومن هنا، فمن غير الـــمتوقع لفرعون ومن استكبر معه، تصديق موسى، ولكن، على الأقل، فالتصديق سوف يأتي من فئة غيرهم، وذاك، بدوره، يشكل ضربات لفرعون، وسلطته .

المبحث الثالث

موقف فرعون وملائه من موسى عليه السلام وموقفه منهم وتحته مطالب

المطلب الأول: الأمر بالتوجه إلى رأس الطغيان

قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ طه 24/20 ، وقال سبحانه: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ طه 20/ 43 ، 44 .

"بعد المعجزتين (العصا ، واليد) اللاتـــي أراهم الله عز وجل لموسى عليه السلام، أمره أن يتوجه إلى فرعون رأس الكفر والطغيان ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي اذهب بما معك من الآيات إلى فرعون إنه تكبَّر وتجبَّر وجاوز الحدِّ في الطغيان حتى ادَّعى الألوهية، وفي الآية التالية، ﴿اذْهَبَا﴾، إلى من تجبَّر وتكبَّر وبلغ النهاية في العتُو والطغيان، ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾، أي قولا لفرعون قولاً لطيفاً رفيقاً ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يخشى﴾ أي لعله يتذكر عظمة الله أو يخاف عقابه فيرتدع عن طغيانه" [1].

(1) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن

عندما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى علي السلام إلى فرعون أمره أن يتلطف معه، وأيده بمعجزات حِسِّية ليقف بها أمام فرعون وغروره بالعلم الذي عنده، ودار الحوار النظري العقائدي بيـــن نبـــي الله موسى عليه السلام وفرعون في حضور خاصته ووزرائه، وفي هذا الحوار تفوق نبي الله موسى تفوقًا بارعًا على فرعون، وطلب منه فرعون البراهين المادية على صدق رسالته فأراه آية العصا، وآية يده، وهنا، ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ طه 20/ 57

فما دار بين الطرفين من محادثات ومحاورات، توضح موقف كل منهما بما يشفي ويكفي وفرعون بهذه المقالة يتهم موسى بأن له هدفا سياسيا من وراء الدعوة التي جاء بها من عند الله، وأنه إنما يريد من ورائها أن يستولي مع قومه على مقاليد الحكم، وأن يطيح بنظام فرعون وملائه ليقيم على أنقاضه نظاما آخر، وقد حكى الله تعالى عن فرعون مقالة أخرى، عرض فيها بموسى واتهمه بتهمة أخطر وأكبر، إذ قال في شأنه: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ غافر 26/40 وسيرا في نفس الطريق، وبمثل هذا النوع من التهم الباطلة، نطق السحرة الذين جندهم فرعون لمباراة موسى، فقد حكى كتاب الله عنهم أنهم ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ إشارة إلى موسى وأخيه هارون ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ طه 20 / 63 .

،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،313/18 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،262/3 : الصابوني :محمد الصابوني ، صفوة التفاسير، 217/2

المطلب الثاني : مواجهة موسى للسحرة

تقدم موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه، فقال : ﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ طه 20 / 61 . ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ طه 20 / 62 قيل : معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم، فقائل يقول: هذا كلام نبي وليس بساحر، وقائل منهم يقول: بل هو ساحر فالله أعلم. وأسرّوا التناجي بهذا وغيره ، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى، قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ طه 20 / 65-69 ، لما اصطف السحرة ووقف موسى وهرون عليهما السّلام تجاههم قالوا له إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نلقي قبلك؟، قَالَ بَلْ أَلْقُوا أنتم وكانوا قد أخذوا حبال وعصيّ فملؤها الزئبق وغيره من الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً يخيل للرائي أنها تسعى باختيارها، وإنما تتحرك بسبب ذلك. فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم وألقوا حبالهم وعصيهم وهم يقولون ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ الشعراء 44/26. وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ

آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ الأعراف 7/ 117- 126

"هذا الربع ، كله متعلق بقصة موسى وبني إسرائيل من جهة ، وفرعون وقومه من جهة أخرى ، وهو استمرار لقصة موسى التي ابتدأت في الربع الماضي من قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف 7/ 103، 104. وقد استغرقت قصة موسى أكثر من ثلاثة أرباع هذا الحزب السابع عشر من الجزء التاسع ، مما يؤكد ما نبهنا إليه في مطلع سورة الأعراف ، من أن قصة موسى وفرعون هي أطول قصة وردت في هذه السورة من بين قصص الأنبياء السابقين ، ولعل الحكمة في ذلك – والله أعلم – أن للأمة الإسلامية ، وغيرها من الأمم حسابا طويلا وعسيرا مع بني إسرائيل – علاوة على حساب نبيهم موسى نفسه معهم – بدأ منذ ظهور الرسالة المحمدية ، و لم ينته ذلك الحساب حتى الآن ، فالله تعالى يريد أن يكون المسلمون أولا ، وغيرهم بالتبع ، على بينة من أمر بني إسرائيل والأطوار التي تقلبوا فيها جملة وتفصيلا ، حتى يعدوا العدة لمواجهة دسائسهم ، والوقوف في وجه مطامعهم جيلا فجيلا ، وبديهي أن كتاب الله لا يورد القصص على أنها نوادر وأسمار ، وإنما يوردها تنويرا للبصائر والأبصار .

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ طه 26.25/20، لقد أراد الله عز وجل أن يظهر الحق على يد موسى عليه السلام في هذه المواقف. بينما أراد فرعون أن يظهر لقومه أنه هو المنتصر وأنه ما علم لهم من إِلَهٍ غيره، لكن قدرة الله عز وجل شاءت غير ما كان يظنه فرعون وهو إيمان السحرة بالحق الذي رأوا في المعجزات، فكان هذا انتصار الحق على الباطل" [1] .

الفصل الخامس

الـــمقومات اللازمة لـــمواجهة موسى لفرعون،

ثـــم الـــمواجهة ونتائجها

وفيه مباحث

(1) الناصري : التيسير في أحاديث التفسير ، 2 / 253 ، 254

المبحث الأول

العلاقة بين شرح الصدر وقوة التفكير

بالالتفات إلى مقومات الحوار الواردة في سورة طه، نلاحظ أنها تقع في إطار زمن موسى عليه السلام، ثم الزمن الذي يشمل حياة البشرية. إذ حينما يتحدث القرآن عن أمور تجمع ما بين أحداث روحية مصيرية وتاريخية، فإن كلامه يتخذ بعدين: أولهما، ما يختص بالحدث وأهميته في الأطر الإصلاحية، روحياً وأخلاقيا، في زمن موسى، ثم ما يمتد للزمن بطوله من جهة ثانية. ويتمثل ذلك في الأيتين الكريمتين التاليتين، الواردتين على لسان موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ طه 20 / 25 - 36 .

في شرح لتلك الآيات، يجدر بنا القول بأن شعور الإنسان بالانقباض يضعه في بوتقة ضيقة، لأن الشعور ذاك سوف يهيمن على عقل الإنسان المعني بالأمر، رغماً عنه. وإن حصول هذا، يجعل الحوار مستعصيا. فالحوار أولا يحتاج إلى معرفة واسعة. ولكن حين يستحوذ الانقباض على صدر الإنسان، فإنه يفقد قدرة التركيز لاستجماع تلك المعارف، لأن تركيزه سوف يكون مسلطا على زاوية واحدة، تزعجه بهيمنتها على عقله. و من هذه الناحية، نرى الحكمة في طلب موسى من ربه شرح صدره تمهيداً لمجابهة فرعون، من طريق الحوار. فان كان قتله، غير المقصود، للقبطي، وخوفه من إنزال الضرر به، من قبل فرعون وآله، مُهَيمِنين عليه، وجدانا وعقلاً، فشرح صدره بالإيمان كفيل بتحريره من ذلك الانقباض أو من جزء كبير منه. على أن تحرر صدره من الانقباض ينعكس على فكره. و بذلك الانعكاس، تزول هيمنة مشكلته مع القبطي، ومخاوفه منها، وهو رجل علم متفقه بالدين منذ بلوغه سن الرشد. وذاك بدوره يسهل له الأمور: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ طه 26.25/20 ، هذا ، وفي شرح لآية، ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ فقد جاء في الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي : "سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون" [1].

(1) القرطبي: محمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي 192/11 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،298/18 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م، 282/5

"وقال الشيخ محمد المكي الناصري، في تفسيره التيسير: تنبيه لكل حامل رسالة، أو قائم بدعوة، أن يلجأ إلى الله بادئ ذي بدء، ويلتمس منه العون، حتى يشرح الله صدره، فلا يتبرم بأعباء الرسالة، ولا يتضايق من متاعب الدعوة، وحتى ييسر الله أمره، فلا تقف دونه العراقيل والمعوقات، وحتى يفتح له قلوب الخلق ، فيقبلون عليه وينتفعون به" [1]. إذن، فإن انشراح صدر الإنسان بالإيـــمان، يشكل الطريق السوي لتحرير الصدر من مشكلة ذاتية ، بانطلاقةٍ للعقل. وتلك الانطلاقة تُنمي الـــمواهب الفكرية فتتحرر بدورها مـــما كان منعكسا عليها من ضيق الصدر. وبذلك التحرر، تأتي القدرة على التركيز السليم، لقضية هامة ، مثل قضية مـــجابـــهة موسى عليه السلام لفرعون. وذاك يثبت ، تـــمازج الإنشراح الصدري مع التفتح والنماء الذهني ، لا لِاستجماع الـــمعارف فحسب، بل للتمكن من إخراجها من اللسان بالقالب العميق الفعال.

المبحث الثاني

العلاقة بين قوة التفكير والقدرة الكلامية

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ طه 20/ 25 - 28

من جـــملة ما تقدم، فالآيات تبين اتصالاً وثيقا ما بين الوجدان والعقل واللسان.

تبدأ الأمور بالوجدان كما هي متجسدة بشرح الصدر بالإيـــمان، فتنتقل إلى العقل، فاللسان.

(1) المكي الناصري: محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، 254/2

فالعقل كأداة يـــحلل ما خزن من معارف في الذاكرة، باتصاله مع الوجدان. والتحليل يعني تناول تلك الـــمعارف بعمق، وتنظيمها، من خلال الـــموازنات والدلائل والبراهين، حتى إذ ما وصلت إلى النطق التي يقف اللسان كأداة لـــها ؛ فإنـــها تصل في حيز منطقي، وتـــخرج كذلك. وهذا _ كما نرى _ هو معنى قوله تعالى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ طه 27/20.فحل العقدة يشير إلى طلب موسى من ربه ، الإفاضة عليه بطلاقة اللسان. وتلك الطلاقة لا تأتي إلا، مع انشراح الصدر، وقوة التفكير، كما هي متمثلة في التركيز، وتنظيم الـــمعرفة، وتـــحليلها باستخدام أدوات الـــمنطق، وهي الدلائل والبراهين. هذا، وحينما يـــخرج ما في العقل، بإطار منطقي سليم، فمن الطبيعي أن يفهم جيدا من الطرف الآخر الـــمُحاور ؛ إلا في حالة سيطرة الغطرسة والغرور. ولكن، حتى وإن حصل ذلك، فعلى الأقل، سوف يؤخذ بالـــحسبان، ما يـــمتلك هذا الشخص الـــمحاور من قدرة على الحوار؛ ولكن مع مـــحاولة لتغطيتها بالسخرية تارة، أو باتـــهامه بالـــجنون تارة أخرى، أو بتهديده من جهة ثالثة. وهو ما حصل بالفعل، لـــما جابه موسى فرعون وآله بعد وصوله إلى مصر.

المبحث الثالث

إعانة هارون لموسى في مواجهة فرعون

قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي... ﴾ طه 20/ 29 - 31 . وقال تعالى في سورة القصص : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا

فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ القصص 28 / 34، 35 "علل موسى عليه السلام بكونه ليس فصيح اللسان، ولا قوي التعبير والبيان، كأخيه هارون، وكأنه يشير من طرف خفي إلى ترشيح أخيه بدلا منه لهذه المهمة الخطيرة" [1]. ثم يقول متلطفا متعقبا: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ والردء: بمعنى المعين، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ، قال جار الله الزمخشري : " فإن قلت ما الفائدة في تصديق أخيه ﴿ردءا يصدقني ﴾ ؟ قلت: ليس الغرض بتصديقه ان يقول له: صدقت، أو يقول للناس: صدق موسى، وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق، ويبسط القول فيه، ويجادل به الكفار، كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة. فذلك جار مجرى التصديق المفيد، كما يصدق القول بالبرهان [2] ". ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ القصص 28/ 35. "فالحق سبحانه وتعالى أكد تكليف موسى بالذهاب إلى فرعون، وأنعم عليه في نفس الوقت بالتصديق على مؤازرة أخيه هارون فيما وكله إليه ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ القصص 28/ 35. وتهدئة لروع موسى وتأمينا له من كل خوف تعهد الحق سبحانه وتعالى برعايته ورعاية أخيه، وحمايتهما من كل أذى، وبشرهما

---

(1) الناصري: محمد المكي الناصري، التيسير في احاديث التفسير، 525/4

(2) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، المتوفى: 538هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ 409/3: الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،249/18 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م : 236/6

بأن الغلبة في النهاية ستكون لهما ولمن اتبعهما على الحق، ومعنى ذلك أن الهزيمة ستكون عاقبة فرعون وملائه، وهذا التعهد الإلهي النافذ هو ما نطق به قول الله تعالى في نفس السياق: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ القصص 35/28 "[1]. إن موسى عليه السلام كان يتوقع صدور أي شيء عن فرعون لاحقاً، فوقت استغاثته بالله تعالى لشرح صدره، وتيسير أمره، وحل عقدة من لسانه. رأى أيضا وجوب وجود معين له، فاستغاث بالله تعالى لضم هارون أخيه إليه. إذن فطلب موسى إشراك هارون معه في مهمة مواجهة فرعون، بعد تكليفه بالنبوة، وتبليغ الرسالة، يشير إلى الأمور التالية:

أ- إن ما كلف به موسى كان عظيم الشأن، بحيث أنه مهما فعل، كرجل يحظى بدعم إلهي، فإنه يظل محتاجا إلى شريك، للحد من النكسات أو لمنعها.

ب- إن ذلك لا يعني أنه لن يقوم بمهمته كاملة كما ينبغي له، بل إن موسى سوف يقوم بالتكليف على أحسن وجه ممكن في حدود بشريته. ولكن وجود هارون، سوف يشكل عاملاً فعالاً في توجيه الأمور نحو المراد.

ج- إن الأخوة، إن اتخذت منهج الإيمان سبيلاً لها في الحياة، تصبح تعاضداً خيراً في كل أمر، حتى في التسبيح الكثير لله تعالى، في الذكر الكثير له ؛ فالإخوة يعلمون أن الله تعالى عالم بأحوالهم وبكل أفعالهم. مثال ذلك، ما ورد في القرآن

(1) الناصري: محمد المكي الناصري، التيسير في احاديث التفسير، 525/4

الكريم، على لسان موسى حين طلب من ربه إشراك أخيه هارون في أمره : ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ طه 20/ 33 - 35. إن موسى يؤكد هنا، إنه سوف يلجأ مع أخيه هارون إلى التسبيح الكثير لله تعالى. وطبعأ، فالتسبيح المستفيض يعني التعظيم والإجلال لله تعالى، والتطلع إليه معيناً وحيداً للإنسان في تصرفاته، وأداء أعماله. هذا، والحظوة بالمعونة الإلهية، أمر مهم، لأن فيها هداية للإنسان نحو السير في الطريق الصحيح. ومن هنا، نفهم معنى الأية: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾.أما الأية: ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾، فهي تتضمن مضمون ملء قلب موسى وهارون بذكر الله باستفاضة. وكقاعدة، فذلك يؤدي إلى اتصال دائم بالله عز وجل. وهذا الإتصال رحمة لهما، لأن الله تعالى، العالم بكل صغيرة وكبيرة في الكون، يفيض عليهما (من خلال ذكرهما الكثير له) بالعلم لهدايتهما في مجابهتهما لفرعون. أو بكلمة أخرى، يزودهما بالعلم اللازم لمواجهة فرعون، في كل مرحلة زمنية. فهما، من حيث أنهما ينتميان إلى الجنس البشري، لا يعرفان ماذا يكيد لهما فرعون مع أله، خفية، وباستمرار، ومن تلك الزاوية، فالعلم يعينهما على تتبع تلك المكائد الخفية، وتخطيها، درءاً للنكسات التي قد تؤثر على حياتهما وعلى عملهما. والله الذي تسع رحمته كل شيء، بصير بهما ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ طه 35/20. من كل ما تقدم، يبدو جليا أن موسى كان يرى وجوب تحصين نفسه في مجابهته مع فرعون من طريقين: أولهما، التقوية الوجدانية الفكرية له، حتى يتكلم بمنطق يقنع فرعون.

وثانيهما التقوية الـــمعنوية والعملية له، من خلال شد أزره بأخيه هارون، في التكليف بالنبوتي وتبليغ الرسالة. ولكن، سواء بالدرب الأول أو بالثاني، فالإعتماد كله على الله عز وجل، طالـــما أن موسى استغاث بربه في الـــجانبين. هذا، وقد خرجت تلك الإستغاثة بالله عن قلب موسى الصادق، ووجدانه الـــمخلص، ومـــحبته الشديدة لله تعالى.. مـــحبة متوجة بشعور منه، بضعف كمخلوق.. فاستجاب الله تعالى لـــموسى، بالقول: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ طه 36/20. وذلك يبين، بدوره، الـــهيمنة الإلـــهية على الكون وكل ما فيه. فالقوة كلها بيد الله عز وجل، وهو وحده القادر، على مـــحق طغيان فرعون، الذى نسب التأليه لنفسه، من طريق تـــهيئة الأسباب.

المبحث الرابع

حوار موسى مع فرعون

قال تعالى في هذا الحوار ونتيجته : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الشعراء 26/ 23 - 68

"وبدخولنا الآن إلى موضوع الحوار بين موسى وفرعون، فيجب أن نبين أولا أنه يؤكد الوجود الإلهي الدائم. فالله تعالى المتصف بالكمال المطلق، هو السميع البصير. يسمع كل ما يجري في الكون، وعليه، فالحوار سوف يجري بسمعه عز وجل . كما ورد في قوله العزيز : ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الشعراء 26/ 15 - 17 ، أي اذهب أنت - يا موسى- وهارون بالبراهين والمعجزات الباهرة ، ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ أي : فأنا معكما بالعون والنصرة أسمع ما تقولان وما يجيبكما به ، وصيغة الجمع "معكم " أريد به التثنية، فكأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع تشريفاً لهما وتعظيماً ، ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء 16/26، أي فأتيا فرعون الطاغية وقولا له : إنا مرسلان من عند رب العالمين إليك لندعوك إلى الهدى ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي أطلق بني إسرائيل من إِسَارِك واستعبادك وخل سبيلهم" [1] . بالتأمل في ذلك، نرى أن الله تعالى أرسل موسى

(1) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 345/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،346/19 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار

وهارون بأمر إلى فرعون، وهو إطلاق بني اسرائيل في وقت استعبادهم وإذلالـــهم. وكما نعرف، ففرعون، الذي أله نفسه، كان يصدر الأوامر كما يريد، دون مراجعة أحد، وهو يظن أنه الآمر الناهي بغطرسته وغروره. ولكن الآن، ففرعون بذاته هو الذي يتلقى الأمر من الله عز وجل الـــمتفرد وحده بالألوهية. وذلك يعني تـــحدياً له، بالتأكيد له أنه بشر، يتلقى الأوامر الصحيحة مثل كل أبناء البشرية، من الله تعالى، ويـــخضع لـــحكم الله الـــحق، تـــماما مثل الآخرين. وعليه، فتأليهه لنفسه تطاول على الدين، ولا وزن البتة لأوامره (أي فرعون). وفي ذلك، أول مظهر من مظاهر وضع فرعون عند حده من قبل رسولي رب العالـــمين بـــموجب تكليف إلـــهي لـــهما. والرسولان هـــما موسى الذي نشأ وترعرع في قصر فرعون، وأخوه هارون، الذي ذهب ليشد من عضد أخيه أمام فرعون. وتـــجدر الإشارة هنا إلى أن شخصا متغطرسا مثل فرعون، سوف يرفض التحدي، لأن في ذلك التحدي زعزعة لسلطته. ولكن رفضه ذاك، سوف يرفض بـــمراحل يأمل فيها إيقاف تـــحدي موسى وهارون. فمثلاً، سوف يسعى لإحراج موسى، من زاوية الـــمن عليه بتربيته، ثـــم التطرق لـــموضوع قتل موسى للقبطي، وهو يعلم وقع ذلك عند موسى عليه السلام. قال تعالى، حكاية على لسان فرعون : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ الشعراء 19.18/26 ، أي ألـــم نربك في منازلنا صبياً صغيراً ؟ قصد فرعون بـــهذا الكلام الـــمن على موسى

طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـــ - 1997 م،463/3

والإحتقار له كأنه يقول: ألست أنت الذى ربيناك صغيراً وأحسنا إليك ، فمتى كان هذا الأمر الذى تدعيه ؟ ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ الشعراء 18/26. أى ومكثت بين ظهرانينا سنين عديدة نحسن إليك ونرعاك. ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴾ الشعراء 19/26 ، أي فجازيتنا على أن ربيناك أن كفرت نعمتنا وقتلت منا نفسا ؟، والتعبير بالفعلة لتهويل الواقعة وتعظيم الأمر، ومراده قتل القبطي ﴿ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ الشعراء 19/26 ، أي وأنت من الجاحدين لإنعامنا، الكافرين بإحساننا، قال الطبري في تفسيره جامع البيان: "وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك، وإحساننا إليك في قتلك إياه" [1]. فبماذا أجاب موسى على كلام فرعون، كما ورد في التنزيل ؟ : ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الشعراء 26/ 20 - 22 ، "أي فعلت تلك الفعلة وأنا من المخطئين ؛ لأنني لم أتعمد قتله، ولكن أردت تأديبه. ولم يقصد عليه السلام الضلال عن الهدى. وقال ابن عباس: ﴿ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ الشعراء 20/26 ، من الْجَاهِلين بنعمتك عَليّ" [2] ، ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ الشعراء 21/26 ، أي فهربت إلى أرض مدين حين

---

(1) الطبري: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 19 / 340 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،109/6 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م، 137/6

(2) ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، 307/1

خفت على نفسي أن تقتلوني وتؤاخذوني بـــما لا أستحقه ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ الشعراء 21/26. أي فأعطاني الله النبوة والـــحكمة ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، أي: واختاري رسولا إليك. فإن آمنت سلمت، وإن جحدت هلكت، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الشعراء 22/26 ، أي كيف تـــمن علي بإحسانك إلي وقد استعبدت قومي ؟ فما تعده نعمة ما هو إلا نقمة. قال ابن كثير[1] : "الـــمعنى ما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيدا وخدما، أفيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بـــما أسأت إلى مـــجموعهم" [2]. إن رد موسى ذاك ، ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ يبين أنه اعترف بـــخطئه بقتله للقبطي، لكن مع إظهار أن القتل لـــم يكن متعمدا، لأنه أراد تأديب القبطي، ولـــم يرد قتله. على أنه لـــما عرف بأن فرعون وآله ، سوف يتخذون ذلك ذريعة لقتله ، وهو لا يستحق هذا، فقد اضطر للهروب لأرض مدين، حيث أعطاه الله تعالى النبوة في أرضه. لقد أراد أن يظهر لفرعون بذلك الرد، أنه إن قتل شخصا قبطياً، فهو يعترف بذلك، بل ويعترف بـــخطئه في ارتكاب القتل غير الـــمقصود في إطار الندم. ولكن إن اعترف هو بقتل شخص واحد بغير عمد، وندم، ففرعون استعبد

---

(1) هو الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، القرشي الدمشقي الشافعي، – 700ه، 774ه، الإِمَام الْفَقِيه الْمُحدث الأوحد البارع، فَقِيه متقن، ومتحدث متقن، ومفسر نقال، وَله تصانيف مفيدة تفسير القرآن العظيم، وهو أجل مؤلفاته، البداية والنهاية، وهي موسوعة ضخمة تضم التاريخ منذ بدأ الخلق إلى القرن الثامن الهجري، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقاة والضعفاء والمجاهيل، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث وهو اختصار لمقدمة ابن صلاح، السيرة النبوية لابن كثير، جامع السنن والمسانيد لابن كثير. يدْرِي الْفِقه وَيفهم الْعربية وَالأصول، ويحفظ جملة صَالحة من الْمُتون والتفسير، والرجال وأحوالهم.: الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـــ) المعجم المختص بالمحدثين، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، 1408 هـــ - 1988 م، 74/1

(2) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى- 1419 ه، 124/6

فئة، وأذلـــها، وقتل منها من قتل، وهو يظن أن ما يفعله مشروع، ولكن ومع كل ذلك، فلا يرى إجرامه، بل يظنه مشروعا. صحيح أن موسى أخطأ بتسرعه في قتل القبطي وما نـــجم عن ذلك من كارثة، ولكنه أخذ ذلك كعبرة ودرس له، لكي لا يكون ظهيرا للمجرمين، بعد أن ندم واستغفر ربه ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص 17/28. ولـــما أراد أن يبطش بالقبطي الآخر عن تسرع، مرة أخرى، تراجع كل التراجع. أما فرعون، فقد استمر ببطشه بالضعفاء دون أي وازع ضمير، متحديًا كل من يقف لـــمـــجابـــهته. وهكذا مضى فرعون في تـــحديه لـــموسى كرسول، بعد أن ســـمع من موسى ما ســـمع. ويتمثل ذلك التحدي في السؤال الآتي الـــموجه منه لـــموسى، كما ورد في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء 23/26 ، "أي قال فرعون متعالياً متكبرا : من هو هذا الذي تزعم أنه رب العالـــمين ؟ هل هناك إله غيري ؟ لأنه كان يـــجحد الصانع ويقول لقومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي ﴾ القصص 38/28" [1] ، بـــمعنى أن فرعون طرح السؤال، وهو يظن بغطرسته وجهله أنه الـــمتفرد بالألوهية، وهنا وقعت على موسى مسؤولية إظهار معنى التفرد بالألوهية لفرعون، كي يدرك مـــحدوديته البشرية، فقال كما ذكر القرآن الكريم :

(1) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 346/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،342/19 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـــ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـــ - 1997 م،465/3

﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ الشعراء 24/26 ، أي قال موسى: هو خالق السماوات والأرض، والـــمتصرف فيهما بالإحياء والإعدام، وهو الذي خلق الأشياء كلها من بـــحار وقفار، وجبال وأشجار، ونبات وثـــمار، وغير ذلك من الـــمخلوقات البديعة ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ الشعراء 24/26 ، أي إن كانت لكم قلوب مؤمنة، وأبصار نافذة. فهذا أمر جلي في رد موسى على سؤال فرعون ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء 23/26 ، فهو يظهر له بأن التفرد بالألوهية مرتبط بـــخلق الكون، وكل ما فيه. وذاك أمر لا ينسب إلا للإله الواحد الأحد، الذي خلق السماوات والأرض، وكل ما فيهما. والذي ينظم شؤون العباد كلها، ويدبر أمورهم بعلم غير مـــحدود، وحكمة بالغة. وبـــهذا أراد أن يظهر لفرعون، أنه بدوره كبشر مـــحدود، يـــخضع لله عز وجل، الـــحاكم الـــمطلق للكون، وخالقه.ويبين له، في الوقت نفسه، أن الله تعالى عالـــم بكل أفعال فرعون وأحواله، وأن تأليهه لنفسه باطل حقا، وأنه غير مدرك لتلك الـــحقائق، من منطلق جهله بالأشياء. فلو لـــم يكن كذلك، وكان مبصرا، متدبرا بـــها، لرآها في منظارها الصحيح ؛ ولعلم عندها أنه بشر، لا إله ؛ وأن الألوهية لرب السماوات والأرض وما بينهما. هذا، وكان فرعون يستمع لرد موسى بـــحضور من ملئه، فبماذا أجاب ؟ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ الشعراء 25/26 ،" أي قال فرعون لـــمن حوله من أشراف قومه على سبيل التهكم والاستهزاء : ألا تسمعون جوابه وتعجبون من أمره ؟ أسأله

عن حقيقة الله فيجيبني عن صفاته" [1].من الواضح أن فرعون كان يشعر بالحنق إزاء رد موسى عليه، الذي يكشف به عن جهل ذلك الحاكم، بأسلوب متسم بالمنطق، مدعم بالدليل والبرهان. ولذا أراد أن يحول الموقف ضده، بحيث يحاول إظهار موسى كالجاهل بهذه الأمور، وكأنه يعمل على شن هجوم شخصي عليه (أي على موسى عليه السلام). وهو أمر متوقع من فرعون. ففرعون المتغطرس، الذي لا يمتلك مقومات الحوار (لأن التغطرس وليد الجهل، والحوار يحتاج إلى خزينة فكرية صحيحة)، رأى أن لا سبيل أمامه، بأحواله المتردية تلك، إلا أن يضع عبء الجهل الذي يتسم به، على كاهل موسى، وموسى يفوق أي إنسان آخر ـ في زمانه ـ بعلمه، كرسول، لذلك لم يهتم لسخرية فوعون منه، وربما رأى فيها محاولة لإيقافه عن الحوار. فواصل حواره: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء 26/26 .

إن جواب موسى هذا، زاد في استثارة فرعون ضده. وإزاء ذلك، تهيأ له، أن هجوما شخصيا أكبر عليه، قد يحول دون مواصلته (أي موسى) للحوار، الذي يبين لفرعون فيه، بالدليل والبرهان، أنه بشر، مخلوق من رب العالمين. وبهذا الإطار، اتهم فرعون موسى بالجنون، كما كان يفعل مستكبرو الأقوام المهلكة سابقاً، في اتهامهم الانبياء، بالجنون. على أن اتهام فرعون لموسى، ورد ذكره في الآية

(1) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 346/2 : الطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التونسي (ت: 1393هـ) (التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م:128/15: الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ ،308/3

الكريـــمة التالية:﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ الشعراء 27/26 ، ســـماه رسولاً استهزاءً... أي إن هذا الرسول... لا عقل له، أسأله عن شيء فيجيبني عن شيء، فلم يـــحفل موسى بسخرية فرعون، وعاد إلى تأكياد الـــحجة، بتعريف ثالث أوضح من الثاني فقال كما ورد في التنزيل : ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الشعراء 28/26 ، في هذا القول، يبين موسى لفرعون، بأن الله تعالى هو الـــمسير لـــحركتي الشروق والغروب، اللتين تأخذان مكانا كل أربع وعشرين ساعة. وذاك أمر مرئي له، ولـــملئه، وللناس أجـــمعين. فهل يستطيع هو بذاته تسيير حركتي الشروق والغروب ؟ طبعا، ذاك أمر مستحيل. إذا، فهذا دليل آخر على بشريته. فأمر الشروق والغروب لا تقدر عليه إلا الله، رب الســـماوات والأرض، رب الناس. ولكن إدراك ذلك، لا يـــجتمع مع جهل فرعون وغطرسته. ففرعون لا يعي أنه بشر مـــحدود، يـــخضع لنظام حركتي الشروق والغروب، الـــمسترتين من قبل الله الواحد الأحد، خالقه. ولا يعي أن الـــمسير، لـــهاتين الحركتين بنظام واتساق تام، عالـــم بكل تـــحركاته، كحاكم ألَّه نفسه بتطاول على الدين، واستكبر في الأرض بغير حق. وبـــهذا، جـــمع موسى ما بين كل الدلائل والبراهين الدامغة، التي تدحض تأليه فرعون لنفسه دحضا. وتبين أنه، من غير الـــممكن لـــموسى، تـــحت أي ظرف، أن يـــخضع لفرعون. وأن، خضوعه التام، هو لله عز وجل، رب الكون، والناس، ورب الـــمشرق والـــمغرب. وبـــموقف موسى ذاك، فقد طار صواب فرعون، وانتقل الآن من مرحلة السخرية منه،

فاتـــهامه بالـــجنون، إلى مرحلة تـــهدياه: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَـــٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ الشعراء 29/26 ، أي لين اتـــخذت رباً غيري لألقينك في غياهب السجن. قال الـــمفسرون: وكان سجنه شديدا يـــحبس الشخص في مكان تـــحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا، حتى يـــموت ؛ ولـــهذا لـــم يقل "لأسجننك" وإنـــما قال لأجعلنك من الـــمسجونين لأن سجنه كان أشد من القتل [1].

وتـــجدر الإشارة هنا إلى أنه من الـــمتوقع من طاغية كفرعون أن يهدد موسى بالسجن، للحفاظ على كرسيه. وإظهار فرعون عجزا عن النقاش مع موسى عليه السلام، حجة عليه. فرعون يدعي العقلانية ويسعى إلى اتـــهام موسى عليه السلام بالـــجهل، وموسى يـــحاوره ؛ ومدار الـــحوار يثبت أن الـــجهل صفة فرعون. لذا، رأى موسى، أنه لا بد من الإمعان في إحراج هذا الـــمتغطرس:﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء 30/26 . سوف يفي بالغرض، ففرعون الذي يـــحاول الظهور أمام ملئه كشخص عقلاني، لن يقول "لا"، لـــموسى باستفساره " أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر، وبرهان قاطع تعرف به صدقي"[2]. لأنه لو قال "لا"، فسوف تظهر حقيقته كشخص غير منطقي

---

(1) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 346/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،536/17: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـــ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – 1420 هـــ ،497/24: ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـــ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـــ - 1968 م : 127/6

(2) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 346/2 :الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420

أمام الـــملأ. إذ يبدو أنـــهم لـــم يفهموا نقاش موسى الـــموجه له بالشكل الصحيح. ولذا، وربـــما لإبقائهم على عماهم، حتى يـــمضوا في معاضدتـــهم وولائهم له، فقد وافق على طلب موسى : ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الشعراء 31/26 . وهنا أتى موسى بـــما يقول بفعل الآتي : ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ الشعراء 32/26 ، 33 .

ولكن بالرغم من رؤية فرعون لتلك الـــمعجزتين، إلا أنه لـــم يبد تصديقا لـــهما، بل وجه اتـــهاما لـــموسى بالسحر. ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ الشعراء 35.34/26. أي أن أشراف قومه تـــجاوبوا معه. وربـــما نبع ذلك التجاوب من تصديقهم إياه. وقد أوهـــمهم بعظم شأنه، لـــما ادعى الألوهية ؛ أو ربـــما تشككوا في كلامه، على أساس أنـــهم رأوا، وإياه، الـــمعجزتين. ولكن، وعلى الرغم من تشكيكهم بكلام فرعون، فقد أشاروا عليه، صوناً لـــمصالـــحهم، بالأتي: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ الشعراء 37.36/26 . وإشارتـــهم تلك، تـــحمل في طياتـــها كيداً لـــموسى وهارون، لـــما للسحر أحيانا من تأثير نفسي. وربـــما تراءى لـــهم، أنـــهم بـــجمع السحرة من كل مكان من دولة فرعون، ليرموا حبالا، وعصيا مصممة خصيصا

هـــ - 2000 م،345/19: البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـــ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـــ - 1997 م،111/6

لإيهام موسى، فقد يؤخذ بالـــمنظر، فيظن أنه لن يقدر على فرعون بالنتيجة. فينسحب من الـــميدان، ويتوقف عن طلبه بإخراج بني اسرائيل معه من مصر. وبذلك تـــحل مشاكلهم، وتزول مـــخاوفهم، وتبقى الأحوال على ما هي في مصر، باعتقادهم. وبـــهذا الإطار، تظهر القصة القرآنية، توجة فرعون لإرسال من يرسل، لشتى بقاع دولته، لـــجمع كل ساحر معروف بالـــمهارة، لـــمباراة قادمة مع موسى. على أن تلك الـــمباراة ونتائجها، تشكل موضوعا للبحث في الفصل القادم من هذه الدراسة

الفصل السادس

العاقبة الوخيمة لفرعون وملئه

واشتمل على مباحث كما يلي

المبحث الأول

جهاز الحكم الفرعوني وأهميته ودور السحرة فيه

قبل الكلام على الأحداث الـــمتعلقة بـــجمع السحرة في دولة فرعون

،لـــمـــجابـــهة موسى ، كما وردت قرآنيا ، يـــجب أن نضيف ، لـــما ذكرناه سابقا ، عن نظام الـــحكم الفرعوني في مصر أيام موسى ، الآتي: يقف على رأس الدولة ، فرعون. وفرعون لقب. وهو الذي يـــجمع السلطات التشريعية والتنفيذية في يديه. ولا يبني قرارا على الـــمشاورة إلا في الـــملمات التي قد تؤثر عليه شخصيا ، إن لـــم يـــحصل بظنه على مساندة قوية من ملئه. وبعده ، تأتي طبقة الأشراف ، وهي الطبقة الـــتي تتولى الشؤون الـــحكومية في الدولة ، والـــمنفذة لـــها بناء على الأوامر الفرعونية. ويساند فرعون وحكومته جيش موالٍ تـــماماً للسلطة ، يترأسه قائد ، يُدعِّم فكرة فرعون في تأليه نفسه كل التدعيم ، ويعاونه أشراف الدولة ، في ذلك الـــجانب. إذاً ، نـــحن أمام بناء هرمي يقف فرعون على رأسه كمدع للألوهية . وذاك يعني أن الكفر هو الـــمهيمن على جهاز

الـــحكم كله. وكقاعدة في أحوال كهذه ، لا بد أن يؤدي السحرة دوراً. فيشكلون طبقة من الكهنة هدفها إعطاء شرعية لادعاء فرعون تأليه نفسه ، علماً أن بسطاء الناس فكراً ، يـــميلون إلى تصديق السحرة عادةً. ومن هنا ، يـــمكننا القول بأن فرعون مع ملئه ، تطلعوا للمباراة بين موسى والسحرة ، وربـــما رأوها كالنافذة التي تـــخرجهم من مـــخاوفهم تـــجاه موسى عليه السلام. وبناء على ذلك ، فمن الواضح أن فرعون زاد في توثيق روابطه بالسحرة ، وهو يتطلع لـــمعونتهم القصوى له ، في الـــمباراة القادمة لـــهم مع موسى عليه السلام. ومن الـــجلي أيضاً،أنـــهم أحسوا بثقلهم ووزنـــهم كعامل أساسي في دولة فرعون ، خصوصا مبالغة السلطة في إظهار أهـــميتهم ، بـــحيث تتعدى السائد الـــمعروف. ومن الواضح أيضا أن السحرة أحسوا بأهـــميتهم تلك. فاتجهوا نـــحو استغلال الـــموقف بـــهدف زيادة الكسب الـــمادي ، كما يتمثل في الآتي:

قال الله تعالى : ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ الشعراء 26/ 39- 42 . "أي قيل للناس ، بادروا إلى الاجتماع لكي نتبع السحرة في دينهم إن غلبوا موسى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ الشعراء 41/26 ، أي إن غلبنا بسحرنا موسى فهل تكرمنا بالـــمال والأجر الجزيل. قال لـــهم فرعون: نعم أعطيكم ما تريدون ، وأجعلكم

من الـــمقربين عندي ومن خاصة جلسائي"[1] . إذاً ، ها نـــحن أمام طرفين يرتبطان بـــمنافع شخصية : فرعون وجهاز حكومته يسلطون كل أبواق دعايتهم لتوجيه أنظار الـــجمهور نـــحو السحرة ، بشكل مبالغ فيه يتخطى العادي بالنسبة لسياساتـــهم السابقة ؛ وبالـــمقابل ، ها هم السحرة ، يتطلعون لفعل كل ما بوسعهم لتحقيق الغلبة على موسى وهارون. وهم يتطلعون لـــمكاسب دنيوية. وفعلاً ، جهزوا أنفسهم ، بوضع كافة إمكاناتـــهم في تلك الـــمباراة. ولكن ما موقف موسى عليه السلام إزاء تلك التحركات كلها. أكان موقف صمت ؟ أم موقف تـــحركٍ من جانبه ، خصوصا أنه على يقين تام بالعون الإلـــهي له ، طبعا كان موقفه موقف تـــحرك ، ولكنه ليس تـــحرك الباطل الذي سيطر على معسكر فرعون وسلطته وسحرته ، بل تـــحرك الـــحق ، الذي يـــحمل في طياته قوة روحية معنوية . فها هو مع أخيه ، أمام كل تعبئة فرعون ودولته ، يعلو صوته بتوجيه نصيحة وإنذار للسحرة بسوء العاقبة ، إن لـــم يرتدعوا ، ويكفوا عن دجلهم ، الـــمنافي للحق : ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّـــهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ طه 61/20 ، أي قال موسى للسحرة لـــما جاء بـــهم فرعون : ويلكم لا تـــختلقوا على الله الكذب فيهلككم ويستأصلكم بعذاب هائل ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ

---

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 2/ 347 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،347/19 : الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـــ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – 1420 هـــ ،502/24 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـــ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـــ - 1968 م : 140/6

افْتَرَىٰ ﴾ طه 61/20 ، أي خسر وهلك من كذب على الله. قدم لـــهم النصح والإنذار لعلهم يثوبون إلى الـــهدى. ولـــما ســـمع السحرة منه هذه الـــمقالة هالـــهم ذلك ووقعت في نفوسهم مهابته ، ولذلك تنازعوا في أمره"[1] . إن كلام موسى للسحرة ، الـــمقدم في إطار النصح الـــممتزج بإنذارٍ، يهدف إلى وضع الـــحقائق أمام السحرة قبل الـــمباراة ، وهي أنـــهم مـــحتالون ، يـــخدعون الناس. ولكن ، لو انطلى دجلهم على عقول بسطاء الناس، فهو مكشوف لله عز وجل ، الـــمحيط علمه بكل شيء. كذلك فإن موسى عليه السلام يبين لـــهم أن النصر لن يكون حليفهم أبدا ، مهما أنـــجزوا من حيل قائمة على الكذب ، وأنـــهم لن ينالوا إلا سوء العاقبة ، وهي الـــهلاك. فبما أن سنن الـــحياة قائمة على الـــحق ، فالله تعالى يبطل الباطل ، مهما بلغ عدد أصحابه ، ومهما بلغوا في قوتـــهم الـــمادية. وإزاء ذلك ، رأى السحرة وجوب عقد اجتماع فيما بينهم ، للتشاور في أمر التدابير الـــممكنة لـــمـــجابـــهة موسى عليه السلام ، للحصول على الظفر الذي تطلعوا إليه. وفي الاجتماع ذاك ، اختلفوا في أمر موسى عليه السلام :

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ * قَالُوا إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ طه 20/ 62 - 64 .

---

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، 218/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،326/18 : الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـــ) ، فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى - 1414 هـــ ،440/3

في اختلاف السحرة بشأن موسى ، قال فريق منهم : " ما هذا بقول ساحر وأخفوا ذلك عن الناس وأخذوا يتناجون سراً "[1] . وهذا يعني أن ذلك الفريق أدرك الحقيقة. ولكن إدراك الحقيقة شيء ، والعزوف عن العمل بها شيء آخر. وقد اختار هؤلاء العزوف عنها ، بالإصرار على المباراة ، وهم يتطلعون إلى المكاسب الدنيوية المنتظرة لهم ، من قبل فرعون ، إن فازوا. وهكذا نرى كيف أن الأثرة أو الأنانية تجر أصحابها ، نحو الزيادة في التكذيب ، وإخفاء الحقيقة في صدورهم ، فتعمى أعينهم عن إدراك سوء العاقبة. فبعد مشاورة بين السحرة في اجتماعهم ، اتفقوا على الإعلان الآتي ، المبني على باطل من جانبهم : "ما هذان - أي موسى وهارون - إلا ساحران يريدان الاستيلاء على أرض مصر وإخراجكم منها بهذا السحر ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ طه 20/ 63 ، أي غرضهما إفساد دينكم الذي أنتم عليه والذي هو أفضل المذاهب والأديان، قال الزمخشري: "فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويده خوفا من غلبة موسى وهارون لهما ، وتثبيطا للناس من اتباعهما" [2]. ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ طه 63/20 ، أي أحكموا أمركم واعزموا عليه ولا تتنازعوا وارموا

---

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، 218/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،334/18 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،266/3 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م : 266/5

(2) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ ،72/3

عن قوس واحدة ، ثـــم ائتوا إلى الـــميدان مصطفين ليكون أهيب في صدور الناظرين. فاز اليوم من علا وغلب . قال الـــمفسرون : أرادوا بالفلاح ما وعدهم به فرعون من الإنعامات العظيمة والـــهدايا الـــجزيلة مع التقريب والتكريـــم" [1]. إذاً ، انضم السحرة إلى السلطة في حركة إعلانية موجهة نـــحو استمالة أكبر قدر من الناس قبل الـــمباراة . وذلك بإيهامهم بأن موسى وهارون ساحران ، يريدان إخراج القوم من بلادهم ، من خلال قلب الأوضاع والأحوال فيها ، والتي ادعوا أنـــها ، الأمثل بالنسبة للناس. فكأنـــهم يـــحرضون الناس مقدما على تكذيب موسى وأخيه في الـــمباراة ، واتـــهامهما بالسحر الـــمدمر لأمن الدولة . وذلك حتى يبيت فرعون وأشراف دولته وجيشه مع الناس كلهم في جانب ، وموسى وهارون في جانب آخر. هذا ، ولإيهام أكبر ، وتأثير نفسي أوسع على الناس ، خدمة لـــهذا الغرض ، تـــم الاتفاق على إتيان السحرة بنظام للميدان في بوتقة الاصطفاف. والاصطفاف يوهم عادة بكثرة العدد ، علما بأن كثرة العدد بدورها ، تـــحمل تأثيرا على بسطاء الناس. وقد ظن السحرة أن مثل تلك الأساليب تـــحقق لـــهم الفوز والغلبة على موسى وهارون ، ويـــحققون ما يصبون إليه من الـــمكاسب الـــمادية

---

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 2/ 218 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،101/16 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـــ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـــ - 1997 م،280/5 : الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـــ) ، فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى - 1414 هـــ ،441/3

المبحث الثاني

تطلع القوم لإظهار الحق بين موسى وسحرة فرعون

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ طه 59/20 ، "موسى بهذه المقالة كان واثقا من نصر ربه ، وكان ساعيا في إبراز المعجزة التي جاء بها على مرأى ومسمع أكبر عدد ممكن من الناس ، ولذلك تواعد مع

فرعون وسحرته على يوم عيد ، حتى تهرع إليه الجماهير من كل صوب وحدب ، وهو " يوم الزينة " الذي يتفرغ فيه الناس من أعمالهم ، ولنفس الغاية اقترح موسى أن يكون اجتماع الناس ذلك اليوم في وقت الضحى ، الذي هو أوضح فترة من فترات النهار بعد شروق الشمس ، إذ لو تواعد معهم عند طلوع الفجر أو عند الظهيرة لما حضر إلا القليل ، ولو تواعد معهم عند المساء لما ظهرت المعجزة على الوجه الأكمل ، لغلبة الظلام واختلاط الرؤية ، قال ابن كثير تعقيبا على هذه الآية : " وهكذا شأن الأنبياء ، كل أمرهم بين واضح ، ليس فيه خفاء ولا ترويج ، ولهذا لم يقل ليلا ، ولكن نهارا ضحى " ، وقال القرطبي تعليقا على نفس الآية : " وإنما واعدهم ذلك اليوم ، ليكون علو كلمة الله ، وظهور دينه ، وزهوق الباطل ، على رؤوس الأشهاد ، وفي المجمع الغاص (بالناس) ، لتقوى رغبة من رغب في الحق ، ويكل حد المبطلين وأشياعهم ، ويكثر التحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر ، ويشيع في جمع أهل الوبر والمدر " [1].

إذاً هناك فريقان: فريق الدولة ، وهو مشكل من أكثر السحرة علماً بفنهم ، يقف بنظام في صف واحد ، ثم الفريق المعارض لفرعون بفكرة التأليه ، والمكون من موسى وهارون . وكلاهما على استعداد للمباراة ، إضافة إلى وجود مشاهدين هم فرعون وأعيان دولته ، وحشد من الناس. ويوم المباراة ، يوم عيد ، باختيار موسى عليه السلام ،بدليل قوله تعالى : ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ طه

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ، 73/4

59/20. فموسى يتطلع لإظهار الـــحق أمام الـــجمهور بـــمعجزتيه ، في حين أن فرعون يتطلع لفوز السحرة فيما دبروه من مكر معه ، أمام الناس. وهكذا ، باتت الساحة ، كأنـــها تنتظر لـــحظات التفريق بين الـــحق والباطل. الـــحق بعلم موسى الـــمؤيد بالـــمعجزات الإلـــهية ، والباطل بغطرسة فرعون وجنده وسحرته. وفيما بين هذا وذاك ، تلوح في الأجواء كوامن مفاجآت ، مدبرة من السماء ، لتسيير الأحداث من خلال توجيه ضربات قوية لفرعون وآله ، كإنذار لـــهم ، بأن الـــمسيرة التاريـــخية ، لا تـــخضع لكلماتـــهم وتدابيرهم مهما أحكمت ، بل تـــخضع لله عز وجل ، لإثبات كلمته سبحانه ، ومـــحق كلمة الـــمستكبرين. ذلك هو الـــمشهد العام . فماذا جرى من أحداث يوم الـــلقاء ، والفريقان الـــمتباريان ينتظران ما ينتظرانه ، هنا ، فتح السحرة الـــمباراة كما ورد في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ طه 65/20 ، "أي إما أن تبدأ أنت بالإلقاء أو نبدأ نـــحن ؟ خيروه ثقة منهم بالغلبة ،قالوا ذلك من باب الإعتزاز بالنفس وتوهم الغلبة وعدم الاكتراث بأمر موسى عليه السلام . ولو أنـــهم أقدموا على كلامهم هذا عن استكبار واستعلاء ، وثقة نابعة من ذلك الاستكبار بالفوز، إلا أن قولـــهم ذاك ، كان هو الـــمراد بعينه من موسى عليه السلام . فالـــمعجزة التي أيده الله تعالى بـــها – أي معجزة رمي عصاه وتـــحولـــها إلى ثعبان كبير ، لالتهام كل ما في طريقه من خشب – تتطلب أن يقدم السحرة أولاً ، على رمي ما حضروه من حبال وعصي من جانبهم . وذلك لتحقيق الـــهدف من إظهار الـــمعجزة الإلـــهية ،

والتفريق بينها وبين السحر ، أمام الناس.قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فقد فضل موسى أن يكون سحرة فرعون هم السابقين ، ثقة منه بأن العاقبة للمتقين ، ورغبة في أن تكون كلمة الحق هي الكلمة الأخيرة ، إذ هي فصل الخطاب الذي لا معقب له"[1] ، ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ طه 66/20 . طلب موسى عليه السلام من السحرة البدء في إلقاء حبالهم وعصيهم . فحاولوا تقليده في مسألة العصا التي تحولت إلى ثعبان ، دون إدراك منهم بأن ما أفاضه الله تعالى عليه يقع في حيز معجزة تحويل الجماد إلى كائن حي ، والحي إلى جماد كما كان ، لإظهار أن الله تعالى هو الخالق والمميت للأشياء . ويروى في كتب التفسير أن السحرة جعلوا للعصي رؤوسا ، تشبه رؤوس الحيات بإتقان. والهدف من ذلك ، هو أنه لما يُلقوا عصيهم مع الحبال ، فيتراءى للناظر – بخدع السحر – ، أن رؤوس الحيات المحفورة في الخشب ، هي حيات حقيقية. فعندئذ يخاف موسى ويضطرب. وفعلاً ، وبموجب طبيعة موسى البشرية ، فقد اعتراه الخوف. ولكن الله تعالى، أزال ذلك الخوف من قلبه ، حيث ثبت إيمانه ، وأكد له أن النصر حليفه ، آمرا إياه بالإسراع في إنجاز ما علمه إياه ، برعايته سبحانه وتعالى . وذلك كله يظهر في قوله الباري تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ،74/4

هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ طه 67-70/20 ،" أي ألق عصاك التي بيمينك تبتلع بفمها ما صنعوه من السحر، إن الذي اخترعوه وافتعلوه هو من باب الشعوذة والسحر، ولا يسعد الساحر حيث كان ولا يفوز بـــمطلوبه لأنه كاذب مضلل"[1] . وبذلك ألقى موسى عليه السلام عصاه ، فتحولت ثعباناً كبيراً ذا قوائم وعنق ورأس ، وأضراس ، فجعلت تتبع تلك الـــحبال والعصي حتى لـــم تبق شيئا ألا ابتلعته. والناس ينظرون إلى ذلك عياناً نـــهاراً ، فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ، علموا علم اليقين أن هذا ليس من قبيل السحر والـــحيل ، وأنه حق لا مرية فيه ، فعند ذلك وقعوا سجداً لله ، فقامت الـــمعجزة واتضح البرهان ، ووقع الـــحق وبطل السحر ، قال ابن عباس : " كانوا أول النهار سحرة ، وفي آخره شهداء بررة [2]". وهكذا أخزى الله فرعون وجنده أمام الناس ، وظهر لـــهم أن رفعتهم ورفعة دولتهم تكمنان في الدين الحق ، لا في السحر. فالسحر تدجيل وخداع دحضته الـــمعجزة دحضا. والسحرة لا يـــمكنهم أن يقفوا ضد الدين ، من أجل تدعيم سلطة مطلقة لـــحكم قائم على التأليه. وحتى السحرة هؤلاء الذين اعتمد عليهم فرعون ، وظن أنـــهم سوف يـــجلبون له الغلبة ، أُخذوا بـــهول الـــمعجزة ، وفاضت أفئدتـــهم بالـــخشوع لله عز وجل ، فسجدوا بإيـــمان لرب هارون وموسى. وهكذا انسلخوا عن

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 219/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،338/18 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـــ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـــ - 1968 م، 302/5

(2) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، 219/2، وكلام ابن عباس : انظره في البداية والنهاية لابن كثير، 299/1

فرعون ، عن عقيدة وإيـــمان ، فلم تنته الـــمباراة التي بذل فيها فرعون ما بذل من دعاية ، إلا لغير صالـــحه ، مع جهاز حكمه. وقوي بالـــمقابل ، موسى وهارون بتلك الفئة الـــمنسلخة عن فرعون ، برعاية الباري عز وجلا

المبحث الثالث

عزم فرعون على قتل موسى وقومه

تلك حادثة قد هزت فرعون وسلطته. فانسلاخ تلك الفئة ، بالرغم من تكريم السلطة لها (لأن أفرادها يشكلون جزءا منها) قد يفسح المجال لآخرين للخروج على فرعون وآله. وذلك يعني ازدياد مخاوف فرعون من القوة الناشئة ضده بزعامة موسى وهارون ، بسبب إمكانية تشكيل خطر على وجوده لاحقا ، خصوصا إن وصل موسى إلى التمكن من إخراج بني إسرائيل من مصر ، رغماً عن إرادة فرعون في إبقائهم أذلاء تحت حكمه. ومع تفاقم مخاوف فرعون نظراً للظروف الجديدة المتجسدة في انسلاخ السحرة عنه ، كان من المنتظر قيامه بمحاولة ما ، للإبقاء على مهابته أمام الناس. وطبعا ، إن شخصا بنفسية فرعون لا يمكن أن يكون تحركه سلميا ، بل سوف يكون موجها ، نحو الوعيد والتهديد للسحرة ، محاولا إدخال الخوف في أفئدتهم ، وهذا هو ما حصل بالضبط ، ويظهر ذلك ، من قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ طه 71/20 ، ومن ذلك ما حكاه كتاب الله على لسان فرعون بعد ما نفض السحرة أيديهم من فرعون وملائه ، وآمنوا برب موسى وهارون﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ طه 71/20 ، أي قال فرعون للسحرة: آمنتم بموسى وصدقتموه بما جاء به قبل أن أسمح لكم بذلك وقبل أن تستأذنوني .إنه رئيسكم الذي علمكم السحر فاتفقتم معه لتذهبوا بملكي.

قال القرطبي : "وإنما أراد فرعون بقول هذا ليشبه على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم، وإلا فقد علم فرعون أنهم لم يتعلموا من موسى، بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى وولادته" [1] . "ثـــم توعدهم وهددهم بالقتل والتعذيب فقال. أي فو الله لأقطعن الأيدي والأرجل منكم مـــختلفات ، بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، أو بالعكس. ثـــم لأعلقنكم على جذوع النخل وأقتلنكم شر قتلة . ولتعلمن أيها السحرة من هو أشد منا عذابا وأدوم أأنا أم رب موسى الذي صدقتم وآمنتم به" [2] . وقول فرعون هذا فيه دليل على ما أصاب عقله من خلط وخبط ، لهول المفاجأة التي فوجئ بها هو وقومه ، حتى أنهم فرعون نفس السحرة الذين كانوا قبل لحظات محل ثقته وطوع يديه ، بأنهم أصبحوا تلامذة لموسى ، بمجرد ما أعلنوا إيمانهم بالله ، وبراءتهم من فرعون ودينه ، وأصر فرعون في تعبيره على أن يتهم موسى بأنه هو الذي علمهم السحر الجديد . يضاف إلى ذلك ما يتضمنه خطاب فرعون لسحرته السابقين من جهل فاضح بخلجات النفوس وتقلبات القلوب ، فالإيمان متى خالطت بشاشته قلب الإنسان تحول في الحال من حال إلى حال ، ومفاتح القلوب هي قبل كل شيء بيد الله ، لا بيد الطغاة المتمردين على الله ، والشأن في كلمة الحق

---

(1) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـــ) ،الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة: الثانية، 1384هـــ - 1964 م ، 224/11

(2) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 219/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،113/16 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـــ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـــ - 1997 م،467/3

أن تغزو الآذان ، دون استئذان" [1].

من الواضح أن فرعون هدد السحرة بأنه سيبدأ ببتر اليد اليمنى مع الرجل اليسرى للواحد منهم ، حتى يعجز عن التحرك كلية. ولكن لن يكتفي بذلك التعذيب لـــهم ، بل سوف يـــمضي في تعليق الواحد منهم على جذوع النخل وقتله بقسوة مع الآخرين .

ه ددهم فرعون بذلك، لإظهار أن عذابه لـــهم، أشد من عذاب رب موسى وهارون، الذي سجدوا له. بغطرسة فرعون الـــمبنية على الجهل بـــحقائق الأشياء ، ربـــما تراءى له ، أن الدنيا تسير على هواه بالنتيجة ، وأنه قادر بـــما يـــمتلكه من قوة مادية للتصرف بـــمصير السحرة كما يشاء ، و هو غير مدرك أن مصيره ومصير السحرة والناس أجـــمعين بيد الله عز وجل . وغير مدرك أن العذاب الإلـــهي للمستحقين من الناس، لا يأتي عن ظلم أبدا، بل هو عقاب لسعيهم. فحساب الله للناس قائم على العدل الـــمطلق، وموجه نـــحو إرساء قواعد الـــحق والعدل. و من الـــجلي أن السحرة كانوا متفهمين لتلك الـــحقائق الروحية، ومن هنا، لـــم يظهروا أي تـــخوف من تـــهديد فرعون، بل أبرزوا إصرارا على الـــخضوع التام لرب موسى وهارون، كما يتمثل في قوله عز وجل : ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّـــهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ، 75/4

فَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ طه 20/ 72- 76 .

ومن ذلك ما حكاه كتاب الله على لسان السحرة ، الذين تحولوا بفضل معجزة موسى إلى مؤمنين بررة ، وهم يردون على فرعون ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ طه 20/ 72 ، فكان ردهم على فرعون ردا مفحما ، لأنهم آمنوا بربهم عن برهان وبينة ، وفارقوا دين فرعون وقومه عن اقتناع ، فلا شيء يستطيع أن يردهم عن سلوك المحجة البيضاء ، ولا شيء يقنعهم بالاستمرار في عبادة طاغية متكبر ، لمجرد أن يقول ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ النازعات 79 / 24 ، فقد اهتدوا إلى معرفة الإله الحق الذي ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ طه 20/ 50 ، ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ طه 20/ 73 ، وبعدما رفعت عنهم غشاوة الجهل والنسيان ، ها هم يقبلون بشوق وحماس على عبادة الرحمن ، بكل طاعة وإذعان ، متحملين جميع التضحيات والآلام التي يفرضها عليهم حكم الظلم والطغيان ، إذ لا سلطة لهذا الحكم الغاشم إلا في الدار الفانية ، وهم مطمئنون إلى حكم الله العادل الذي سيلقونه في الدار الباقية ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ طه 20/ 73" [1]." قال السحرة : لن نختارك ونفضلك على الهدى والإيمان الذي جاءنا من الله على يد موسى عليه

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ، 4 / 76

السلام ، ولو كان في ذلك هلاكنا ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ طه 72/20 . قسم بالله ، أي مقسمين بالله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع ،إنـــما ينفذ أمرك في هذه الـــحياة الدنيا وهي فانية زائلة ورغبتنا في النعيم الـــخالد، آمنا بالله ليغفر لنا الذنوب التي اقترفناها وما صدر منا من الكفر والـــمعاصي ، ويغفر لنا السحر الذي عملناه لإطفاء نور الله ، والله خير منك ثوابا وأبقى عذابا ، وهذا جواب قوله ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ طه 71/20. ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ طه 74/20 . هذا من تتمة كلام السحرة عظة لفرعون أي من يلقى ربه يوم القيامة وهو مـــجرم باقترافه الـــمعاصي وموته على الكفر، فإن له نار جهنم ، لا يـــموت في جهنم فينقضي عذابه، ولا يـــحيا حياة طيبة هنيئة ، ومن يلقى ربه مؤمنا موحدا وقد عمل الطاعات والصالحات وترك الـــمنهيات ، فأولئك الـــمؤمنون العاملون الصالـــحات لـــهم الـــمنازل الرفيعة عند الله ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ طه 76/20 .بيان للدرجات العلى، أي جنات إقامة ذات الدرجات العاليات ، تـــجري من تـــحت غرفها وسورها أنـــهار الـــجنة ، ماكثين في الـــجنة دوما لا يـــخرجون منها أبدا ، وذلك ثواب من تطهر من دنس الكفر والـــمعاصي" [1].

إذاً ، فالآيات (71- 73) من سورة طه ، تعطي صورة حية من الفرق بين حقل

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 220/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـــ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـــ - 2000 م،119/16 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـــ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـــ - 1968 م، 306/5

الكفر ، وميدان الإيـــمان ، كما أتت من أشخاص تـــحولوا سريعا نـــحو طريق الـــحق ، لـــما رأوا معجزة موسى عليه السلام . ثـــم تبين أثر الإيـــمان في تزويد الإنسان بقوة روحية معنوية هائلة، وجرأة في قول الـــحق ، دون اكتراث لوعيد أو تـــهديد بشري . فحتى العذاب الدنيوي الذي قد يطبقه الطاغية فرعون، فقد وقعه في أعين السحرة. فذاك لـــم يكن الشغل الشاغل لـــهم. فالشغل الشاغل تـــجسد في ندم السحرة على ما فات مـــما أوقعوا به أنفسهم من تدجيل ، لـــمنع التيار الروحي من أخذ مكانه ، وإبقاء الانحلال الروحي والاجتماعي والأخلاقي على ما هو في دولة فرعون . علما أن الإصلاح كان متطلبا ، خصوصا مع تأليه فرعون نفسه، وهو بشر مـــحدود كغيره فانٍ يـــخضع للموت ، فالبعث ، فالـــحساب ، مثل باقي أبناء البشرية. وعند هذه النقطة ، تبرز الآيات أهـــمية الإيـــمان في الرؤية الزمنية في الـــمسيرة الدنيوية ، وأثرها في إدراك الـــحق والسعي من أجله. فقد تـــمكن السحرة ، لـــما تـــحولوا للإيـــمان ، من العلم التام بأن الوقت الذي يقضيه الإنسان في الأرض ، قصير ، وأن الـــخلود هو في الآخرة. ومن هنا، فالدنيا هي دار الأعمال التي يـــخضع حساب الإنسان لأعماله فيها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وهنا ، نـــجد في وضع السحرة أمام فرعون ، وصفا حيا لـــجهنم والـــجنة. جهنم لا يـــموت فيها الـــمجرم ولا يـــحيا ، في حين أن الـــجنة، مكان للسعادة الدائمة للمؤمنين. وبذلك ، بينوا لفرعون أهـــمية التوحيد ، وسوء عاقبة تأليهه لنفسه ، مع تأكيد له بأن تقديـــم طاعتهم لفرعون ، خوفا منه ، بعد أن رأوا ما رأوا ، أمر مرفوض تـــماما ،

كما ذكر سابقا.

إن الـــمباراة كلها تبين ، في الإطار الأزلي ، أن وجود شخصيات بنفسية وتوجهات فرعون أمر حاصل. إن الواحد من هؤلاء يـــخرج عن الـــحدود التي تقيده كبشر ، انطلاقا من طبيعته الإنسانية. فيستكبر ، والشيطان يغذي استكباره ذاك ، ويزين له وجوب فرض نفسه فرضا على التاريخ ، وكبت أو قمع كل إنسان مؤمن ، عالـــم مبصر بـــحقائق الأشياء ، يسعى لتحويل الـــمجرى التاريـــخي نـــحو الأفضل. وفي سبيل ذلك ، يستخدم الطاغية أساليب شتى ، تبدأ من السخرية من الشخص الذي يسعى لإحقاق الـــحق بعلمه الروحي ، ومنطقه ، وتـــمتد حتى اتـــهامه بالـــجنون ، فالتهديد والوعيد، ويلتوي الطاغية ، وينحرف ، ويرفع فئات بـــمصالـــح ومنافع مشتركة على حساب فئات مظلومة أخرى. ويسلط كل أبواق دعايته نـــحو تأكيد كلمته في الباطل. وذلك لبهر الناس ، وكسب تأيـــيد البسطاء. وكقاعدة عامة ، فإن أصحاب العلم الـــحق والإيـــمان ، هم الذين يدركون تـــماما أن موازين الفوز والنجاح تـــخضع للمبادئ ، لا للأعداد البشرية ، مبادئ التوحيد ، والعدل ، والـــمساواة. وبـــما أن تلك ، هي جوهر الرسالات السماوية كلها ، فالـــمعين لأصحاب الإيـــمان في سعيهم لإرساء قواعد الروح والأخلاق ، والـــمعرفة الـــحقة ، هو الله عز وجل. والله هو الغالب على أمره. وهو عز وجل يهيئ وسائل للمخلصين له في إيـــمانـــهم ، وسائل منطقية خارجة كثيرا عن علم الـــمستكبرين. وبـــها يستطيعون -ولو أنـــهم قلة - التصدي للكثرة ، بأساليبها

الـــمحدودة ، ابتداء من السخرية حتى التهديد والوعيد (مثلما صدر عن فرعون لسحرته) ، بل وإبطال تلك الأساليب بالـــمعرفة الروحية الـــمصطحبة بقوة في النقاش والإقناع. فمع تلك القوة ، تذوب سخرية الفريق الـــمعتز بقوة الدنيا وتـــهديده ووعيده ، فيبدأ بالتقهقر بغير شعور منه. وكلما تقهقر، يضعف ، ويعجز عن تنفيذ تـــهديداته. وبالـــمقابل، يزداد الفريق الـــمؤمن قوة ، تزيد في اضطراب الطاغية مع جنده. وبالنسبة لفرعون والـــمباراة التي أعدها لقهر موسى وهارون ، فإنـــها لـــم تنقلب ضده على الـــمدى القريب فحسب ، بل شـــملت الـــمدى البعيد. فالـــمباراة هزت فرعون وسلطته بقوة ، ولكنها لـــم تكن القاضية لـــحكمة إلـــهية. فقد أنزلت بعدها كوارث بيئية على دولة فرعون ، أظهرت قدرة الله تعالى اللامـــحدودة في فعل ما يشاء ، مقابل عجز كبير من جانب فرعون وسلطته ، لـــمجابـــهة تلك الكوارث.

بعد هذا ، سنعود إلى فرعون ومـــجريات الأحداث في دولته بعد الـــمباراة . بالرغم من الـــهزة الكبيرة التي أحاطت بفرعون وسلطته ، وبالرغم من التقهقر الـــمطرد الـــمصطحب بالكشف عن عجزه الـــمطرد أيضا، فالظاهر أنه أخطا مع سلطته في رؤية ذلك التقهقر ، أو أن تـــمسكهم الشديد بالسلطة ، الـــمصطحب بالعناد والـــجهل ، حجب عنهم رؤية جوهر الأشياء ، فمشوا في طريق التيه والعبث ، في وقت كان يعاجلهم الله عز وجل بضربات عقوبة لغطرستهم ، وإفساحا في الـــمجال لـــهم للاتعاظ ، قبل أن يأخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، ولكن دون اعتبار.

المبحث الرابع

العقوبة الإلهية لفرعون وآله

تتمثل تلك العقوبة في قول المولى عز وجل : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّـهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف 7/ 130- 132.وقال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف 7/ 133

"يصف لنا كتاب الله نماذج مثيرة من عذابه الأليم الذي يتزله بالأمم ، متى أصرت على الضلال والعدوان هي وقادتها في مختلف العصور ، من أية سلالة كانت ، وإلى أية ملة

انتسبت ، فيحدثنا عما أنزله الله بفرعون وقومه من أنواع المصائب والمتاعب ، التي توالت عليهم دون انقطاع ، بحيث لا يكادون يفرغون من واحدة منها حتى يستقبلوا أخرى تكون أدهى وأمر.

وتعني كلمة " السنين " في هذه الآية سنين الجدب والقحط والجوع ، وهذا أمر يستغربه كل من يعرف " نيل مصر " حتى قيل فيها إنها " هبة النيل " ، وإنها ليست بلد الماء المحدود والزرع القليل .

ومعنى كلمة الطوفان في هذه الآية فيضان النيل وكثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار ، " والجراد " معروف بأضراره الفادحة وأخطاره البالغة على الزرع والضرع ، ومن اللطائف أن شريحا [1] القاضي الشهير سئل عن الجراد فقال : " قبح الله الجرادة ، فيها خلقة سبعة جبابرة ، رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور ، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلها رجل جمل ، وذنبها ذنب حية ، وبطنها بطن عقرب " . وتعني كلمة " القمل " الواردة في الآية السوس الذي يخرج من الحنطة وينخرها ، وفي عدة تفاسير أنه بسبب ذلك السوس كانت عشرة أجربة لا يبقى منها بعد طحنها إلا ثلاثة أقفزة ، إذ لا

(1) شريح القاضي : شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع من كندة. وليس بالكفوة من بني الرائش غيرهم. وسائر بني الرائش بهجر وحضرموت لم يقدم إلى الكوفة منهم أحد غير شريح. وكان شريح يكنى أبا أمية. وعن محمد بن سيرين قال: كان شريح شاعرا . وعن محمد بن عبيد والفضل بن دكين قالا: حدثتنا أم داود الوابشية أنها خاصمت إلى شريح قالت : ولم يكن له لحية. عينه عمر بن الخطاب قاضيا على الكوفة. وكان شريح يقول: يا عبد الله دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. فو الله لا تجد فقد شيء تركته لوجه الله. وعن الشعبي قال: توفي شريح سنة ثمانين أو تسع وسبعين.وقال غيره من أهل العلم: سنة ثمان وسبعين. وكان ثقة. رحمه الله ورضي عنه. وقد بلغ مائة وثماني سنين.ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م 6 / 193

يبقى فيها من الحنطة إلا أقل القليل ، و " الضفادع " معروفة ومشهورة بقفزها ووثبها . وورد في عدة تفاسير أن تلك الضفادع كانت قد ملأت البيوت والأواني والأطعمة . وتعني كلمة " الدم " الدم الرعاف كما قال زيد ابن أسلم ، ورواه ابن أبي حاتم . فهذه جملة المصائب التي نزلت بفرعون وقومه على التتابع والتوالي دون أن يتوبوا من شركهم وكفرهم ، ولا أن يتراجعوا عن عتوهم وكبرهم" [1].

"لقد ابتلينا واختبرنا فرعون وأتباعه بالجدب والقحط ، وابتليناهم بإذهاب الثمار من كثرة الآفات لعلهم يتعظون ، ثم بين تعالى أنهم ، مع تلك المحن والشدائد ، لم يزدادوا إلا تمردا وكفرا فإذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا وسعدنا ، ونحن مستحقون لذلك وإذا جاءهم الجدب والشدة تشاءموا بموسى ومن معه ، إن ما يصيبهم من خير أو شر بتقدير الله ، ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف 131/7 ، إن ما لحقهم من القحط والشدائد من عند الله بسبب معاصيهم لا من عند موسى ، وقال قوم فرعون لموسى : أي شيء تأتينا به يا موسى من المعجزات لتصرفنا عما نحن عليه فلن نؤمن لك" [2].

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن أول ضربة إلهية لفرعون وسلطته أصابت الإنتاج الزراعي. وطبعا مع أهمية ذلك الحقل لاقتصاد دولة فرعون ، فالضربة وبما شكلت انحدارا في اقتصاد تلك الدولة ، علما أن أحد مظاهر كيان أي دولة هو اتسامها باقتصاد

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ، 257/2 ، 258

(2) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ، 433/1

قوي. ولكن ومع كل ذلك ، لم تستوعب السلطة الـــموقف ، ولـــم تتعظ بالإدراك أن ما يصيبهم آت من الباري تعالى عقابا لطغيانـــهم وتيههم. وبعدم استيعابـــهم لذلك ، فالآيات القرآنية تظهرهم بإطار حي ، وهم يتذبذبون بنفوسهم. فإن حظوا بالـــخصب بعد شدة وقحط ، نسوا ما فات ، متوهـــمين أن الشدة ذهبت عنهم عن استحقاق لـــهم. وباللغة السياسية ، يرون بالـــخصب تدعيما لسلطتهم. ولكن إن أعاد الله تعالى الـــجدب والقحط عليهم ، يضعوا ذلك الأمر ، على عاتق موسى ومن آمن معه ، دون إدراك البتة أن ما يـــحصل هو اختبار إلهي لـــهم. وفي حالة الإفاضة الإلـــهية عليهم بالـــخصب ، يعودون لغطرستهم القديـــمة ، ليبينوا للناس أنه لولاهم لـــما تـــحسن الاقتصاد ، فوجدوا ما يريدون من حوائج معيشية. وفي حالة إصابتهم بالقحط ، يثيرون الناس ضد موسى ومن معه ، ليبينوا للناس هؤلاء ، أنـــهم فيما يـــجلبون الـــمراد للشعب ، فموسى ومن معه ، يريدون حرمانـــهم من متطلباتـــهم الـــمعيشية. وذلك ، بغية تنفير الـــجمهور منهم ، والنظر إليهم بعين التشاؤم. يفعل فرعون وآله كل ذلك بعناد وإصرار على اتـــخاذ منهج الكفر سبيلاً لـــهم في الحياة. وإزاء ذلك ، يرسل الله تعالى لفرعون وآله كوارث أخرى ، متجسدة في قوله المولى عز وجل : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الأعراف 7/133،134.

ولابأس أن أذكر ماذكره كذلك الشيخ الصابوني هنا : "أي أرسلنا عليهم الـــمطر الشديد حتى عاموا فيه ، وكادوا يهلكون ، قال ابن عباس: الطوفان كثرة الأمطار الـــمغرقة الـــمتلفة للزروع والثمار، وأرسلنا عليهم كذلك الـــجراد فأكل زرعهم وثـــمارهم حتى أكل ثيابـــهم ﴿ وَالْقُمَّلَ ﴾ ، هو القمل الـــمشهور كان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه ﴿ وَالضَّفَادِعَ ﴾ ، حتى ملأت بيوتـــهم وطعامهم، ﴿ وَالدَّمَ ﴾ أي صارت مياههم دماً فما يستقون من بئر ولا نـــهر إلا وجدوه دما ،﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ أي علامات ظاهرات فيها عبر وعظات ، ومع ذلك استكبروا عن الإيـــمان، وحين نزل بـــهم العذاب الـــمذكور﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ الأعراف 134/7. يكشف عنا البلاء بـــحق ما أكرمك به من النبوة، والله لئن رفعت عنا العذاب الذي نـــحن فيه يا موسى لنصدقن بـــما جئت ولنطلقن سراح بني إسرائيل"[1]

وتـــجدر الإشارة هنا إلى أن الآيتين (133 و 134) من سورة الأعراف تؤكدان الـــهيمنة الإلـــهية على الكون ، وتضعان فرعون ورجال دولته عند حدودهم. فالسياق يؤكد أن مفاتيح الطبيعة مع الله تعالى وحده ، لا شريك له ، لا مع فرعون الـــمؤله لنفسه كفراً. وبـــمفاتيح الطبيعة تلك ، فكما قضى الله تعالى بـــحبس الـــمطر عن دولة فرعون ،

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 434/1 : القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـــ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـــ - 1964 م 271/7 : الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـــ) ، فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى - 1414 هـــ ،269/2

وبـــمعاناتـــهم القحط والـــجدب ، مع كل انعكاسات ذلك على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، فكذلك قضى بالطوفان الذي يهلك الزرع والثمر. وبالإجـــمال ، فالسياق يبرز عقابا إلـــهيا للسلطة بأشكال شتى حتى ترتدع . فالطوفان ، بـــمنأى عن آثاره في تدمير الزرع والثمر ، فقد يـــجرف بعض الناس في مياهه ، وقد يـــخرب دارا هنا أو مترلا هناك ، وذاك كله ينعكس على السلطة. فإن لـــم تستطع التغلب على مشاكل تعويض الناس ، وإيـــجاد الأكل الكافي لـــهم ، فعندها قد تصاب بإحباط . لأن الناس قد يرون بالنتيجة بأن ما يـــجري في دولتهم من كوارث، ناجم عن غضب إلـــهي على السلطة الـــمؤلـــهة لفرعون. وعندها ، يتطلعون إلى التغيير ، وذلك ما كان فرعون يـــحاربه مع جنده بوسائله. وعدا الطوفان ، بكل نتائجه ، فقد أرسل الله على الـــمجتمع الـــجراد ، ووجود الـــجراد كارثة ، لأنه لو نشأ أمل بعد الطوفان ، بالتغلب على الكوارث الزراعية ، فها هو الـــجراد يأتي لقطف ثـــمار مزارعهم نباتاً وفاكهة ، في وقت احتياجهم الشديد للقوت. وطبعا ، ذلك يزيد من أزمة فرعون وحكومته. ولكن مـــما يؤججها بإطار آخر ، هو إرسال "القمل " بـــما يـــحمله لـــهم من أوبئة. وذاك يعني انـــهيارا في موارد الدولة الزراعية والاقتصادية ، إضافة إلى تفشي الأمراض في الـــمجتمع. وهذا كله يـــحمل في طياته تعاسة للناس. وقد ازدادت تلك التعاسة مع الإرسال الإلـــهي للضفادع حتى تـــملأ البيوت، بـــما تـــجلبه معها أيضا من آفات وأمراض ، خصوصا حين تـــجوب فوق الأطعمة القليلة ، التي تعود قلتها لكوارث الطوفان والـــجراد. ولـــم تقف الأحوال عند

هذا الـــحد، بل أرسل الله الدم على مياههم. مـــما يعني حدوث تلوث في مياه الشرب ، على أن ذاك كله يبين تدهوراً معيشياً، وصحياً، واجتماعياً، وجـــمعه ينعكس على السياسة. هذا، ومن الـــجلي أن رجال السلطة شعروا أخيرا ، بأن تقهقر الأحوال من تلك النواحي كلها، يؤثر سلباً عليهم. ولذا رأوا ضرورة الـــخروج من الـــمأزق ، في وقت انعدام لكل السبل الدنيوية أمامهم. ولذا اضطروا اضطراراً للجوء إلى موسى لكي يدعو الله تعالى، لوقف الكوارث البيئية التي أنزلـــها على دولتهم للارتداع. وهنا اعترفوا له بالنبوة بعد صلف وغرور، وكفر ، ووعدوه بتلبية طلبه بإرسال بني إسرائيل معه ، إن لبى نداءهم بدوره. ومن الجلي أن موسى استجاب لطلبهم ، ودعا الله تعالى الذي كشف عنهم الضر: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ الأعراف 7/ 134، 135

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا

الآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء 26/ 52 -67.

"بين كتاب الله بنفس الإيجاز والإعجاز ما قام به موسى عليه السلام ، من التدابير الجريئة والخطط المحكمة ، التي بلغت الغاية في التنظيم والإحكام ، لكونها مسددة الخطى ، مؤيدة من الله بالوحي والإلهام ثم بين كتاب الله موقف فرعون وملئه من رسالة موسى وما اتخذه من الوسائل الزجرية ، والتعبئة النفسية والعسكرية ، لمقاومتها والحيلولة دون تحقيق أهدافها ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ الشعراء 26/ 53-56 ، وأنهى كتاب الله قصة موسى في هذا الربع -أي الربع الأخير من الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم- ، ببيان العاقبة التي آل إليها أمر فرعون ومن معه ، وموسى ومن معه ، فقال تعالى مشهرا بعاقبة الفريق الأول ، ومنذرا بنفس العاقبة لكل من سار على نهجه ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ الشعراء 26/ 57 ، 85 ، ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ من الشروق ، والمراد به شروق الشمس وطلوعها ، وهو بيان لوقت وصول فرعون وجنوده والتقائهم بموسى ومن معه ، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ الشعراء 61/26 سجل كتاب الله مشاهد المعركة الدائرة بين الحق بقيادة موسى عليه السلام من جهة ، والباطل بقيادة فرعون من جهة أخرى ، و أن " أصحاب موسى " كانوا يتوقعون أن يدركهم فرعون بجنوده . ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ الشعراء 63/26 المراد

بالفرق في الأصل هو الفج الواقع بين جبلين ، والطود هو الجبل الكبير ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴾ أي قربنا الآخرين من البحر ، والمراد " بالآخرين " فرعون وجنوده ، وقال تعالى منوها بعاقبة الفريق الثاني ، ومبشرا كل من اهتدى بهديه : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾ الشعراء 26/ 64، 56 ، ولا شك أن ما تضمنته قصة موسى ، من المواقف والمشاهد والمثلات والعبر ، كان يشابه أو يقارب إلى حد كبير ما يواجهه خاتم الأنبياء والمرسلين في الحال ، وما سيواجهه في المستقبل المنتظر ، فقد عبأ مشركو قريش جميع قواهم المادية والأدبية للطعن في رسالته ، وحاولوا بكل الوسائل محاصرة دعوته ، وكما فارق موسى وقومه معه مصر ، لينجوا من طغيان فرعون وقومه ، هاجر خاتم الأنبياء والمرسلين مع أصحابه من مكة ، لينجوا من طغيان الشرك وأهله ، وكما كان النصر على فرعون حليف موسى في عاقبة أمره ، سيكون النصر حليف الرسول وصحبه في نهاية عمره ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء 26/ 67" [1]. يتضح من هذا السياق أيضاً ثقة موسى من نصر ربه له وتأييده وخذلان أعدائه وذلك حين خشي قومه إدراك فرعون لهم. لكن بعد كشف الضر عنهم ، عادوا (أي فرعون وآله) إلى استكبارهم السابق ، ونسوا ضعفهم ، وعجزهم ، فنكثوا بعهودهم لـــموسى. ولكن الله تعالى ، العالـــم بكل صغيرة وكبيرة ، ترصدهم وعاقبهم على جحودهم بالنعم ، واستكبارهم ، ونكثهم بالعهود ، كما ورد في قوله العزيز: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ، 372/4 ، 373

الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف 136/7."لقد انتقم الله تعالى من فرعون وآله بإغراقهم في اليم. جاء الغرق بعد إنذارات متتالية لـــهم ، لـــم يدركوا أو لـــم يستوعبوا معانيها بوقتها ، لـــهذا فقد أدرك فرعون سوء عمله في لـــحظات الإغراق فقط ، فندم وقت لا ينفع ندم فيه ، وأعلن إيـــمانه ، كما ورد في قوله العزيز: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس 90/10 ، أي قطعنا وعدَّينا ببني إسرائيل البحر «بحر السويس» حتى جاوزوه لحقهم فرعونُ مع جنوده ظلماً وعدواناً وطلباً للاستعلاء بغير حق ، حتى إذا أحاط به الغرق وأيقن بالهلاك ، قال عندئذٍ أقررتُ وصدقتُ بأنه لا إله إلا اللهُ ربُّ العالمين، الذي آمنت وأقرت به بنو إسرائيل ﴿وَأَنَا مِنَ المسلمين﴾ تأكيدٌ لدعوى الإيمان أي وأنا ممَّن أسلم نفسه لله، وأخلص في إيمانه ولكن الجواب الإلـــهي لفرعون كان الآتي: ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ يونس 92.91/10 ، أي والآن تؤمن حين يئست من الـــحياة ، وقد عصيت الله قبل نزول نقمته بك ، وكنت من الـــمغالين في الضلال والإضلال والصد عن دين الله ، فاليوم نـــخرجك من البحر بـــجسدك الذي لا روح فيه، لتكون عبرة لـــمن بعدك من الناس ، ومن الـــجبابرة والفراعنة ، حتى لا يطغوا مثل طغيانك" [1]. وهكذا أسدل الستار على

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير، 1/ 555 ، 556

قصة موسى مع فرعون بالدروس والعبر ، الـــموضوعة أمام كل جبار عنيد . وأهـــمها أن على كل حاكم طاغية متأله ، أن يتذكر أن مصير الـــمستضعفين من الناس ليس بيده أبدا. وأن قهره لـــهم ، وإن حصل لفترة ، فسوف يزول بالقوة الإلـــهية ، التي لا يـــمكنه أبدا أن يقف في وجهها. هذا ، وبـــما أن الكون يسير بقوانين من الـــحق والعدل ، فالذي يـــجحف بـــحق الـــمقهورين ويبطش بـــهم ، يـــحاسب ، ويأخذ عقابه في الدنيا والآخرة. وذاك يبرز العدل الإلـــهي الـــمطلق. فلا يقنط مظلوم من رحمة الله عز وجل ، ولا يظن ظالـــم ، مهما بلغت قوته ، أنه بـــمأمن من العقاب. لقد أغرق فرعون وجنده ، ونـــجى الله تعالى بني إسرائيل جزاء لـــهم على صبرهم على مظالـــم فرعون. وبغرق فرعون ، انتهت دورة تاريـــخية في مصر، وبدأت دورة جديدة بالـــمشيئة الإلـــهية

الفصل السابع

الدروس والعبر المستفادة

من قصة موسى عليه السلام وفرعون

وفيه مباحث

مدخل

"من أهم ما يلاحظه القارئ لكتاب الله بالنسبة للقصص التي تضمنها القرآن الكريم يجد أن قصة موسى عليه السلام تردد ذكرها في سبع عشرة سورة مختزلة أحياناً ،ومختصرة أحياناً ،ومتوسطة أحياناً ،ومطولة أحياناً وأطولها جميعاً هي التي في سورة الأعراف ،حيث استغرقت من آياتها خمساً وخمسين ومائة آية ،ويليها في الطول قصته في سورة طه حيث استغرقت من آياتها تسعين آية ،ويلي قصة موسى في سورة طه قصته في سورة الشعراء ،حيث استغرقت من آياتها ستين آية ، وتأتي في الدرجة الأخيرة من الطول قصته في سورة القصص ،حيث استغرقت منها مع قصة قارون من قومه خمساً وخمسين آية" [1] .

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قصص أنبيائه السابقين؛ تسلية وتثبيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن تلك القصص قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، وقد أطال الله تعالى في قصته كما ذكرت ما لم يُطل في قصص غيره من الأنبياء ،لما في قصته من دروس وعبر عظيمة، يستفيد منها العلماء الربانيون، والدعاة المربون، والأئمة المصلحون، والناس أجمعون. فالدروس المستفادة من قصة موسى وفرعون كثيرة منها :

---

(1) الناصري : محمد المكي الناصري :التيسير في أحاديث التفسير ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،ط : 1 سنة 1985م ، 4 / 479

المبحث الأول

القلوب بيد الله

إنَّ نورَ اللهِ مهما حاولَ المجرمون طمسَ معالمه، وإنَّ الطغاةَ وإن أثروا في عقولِ الدهماءِ فترةً من الزمنِ، واستمالوهم بالمنحِ والعطايا، فإنَّ القلوبَ بيدِ الله، يُصرفها كيف يشاء، كما في حالِ فرعون وسحرته، حيث وعدهم ومناهم حال مواجهتهم لموسى عليه السلام ، ومع ذلك انقلبوا فجأةً عليه، واستهانوا بما وُعدوا به حين أبصروا دلائل الإيمان والحق، ولاذوا بحمى الملكِ الديَّان، فكانوا أولَّ النهار سحرة، وآخرهُ شُهداء بررة .

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ الأعراف 7 / 113- 122

قال الشيخ محمد المكي الناصري : "هذا الربع ، كله متعلق بقصة موسى وبني إسرائيل

من جهة ، وفرعون وقومه من جهة أخرى ، وهو استمرار لقصة موسى التي ابتدأت في الربع الماضي من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف 7 / 103. وقد استغرقت قصة موسى أكثر من ثلاثة أرباع هذا الحزب السابع عشر ، مما يؤكد ما نبهنا إليه في مطلع سورة الأعراف ، من أن قصة موسى وفرعون هي أطول قصة وردت في هذه السورة من بين قصص الأنبياء السابقين ، ولعل الحكمة في ذلك – والله أعلم – أن للأمة الإسلامية ، وغيرها من الأمم حسابا طويلا وعسيرا مع بني إسرائيل – علاوة على حساب نبيهم موسى نفسه معهم – بدأ منذ ظهور الرسالة المحمدية ، و لم ينته ذلك الحساب حتى الآن ، فالله تعالى يريد أن يكون المسلمون أولا ، وغيرهم بالتبع ، على بينة من أمر بني إسرائيل والأطوار التي تقلبوا فيها جملة وتفصيلا ، حتى يعدوا العدة لمواجهة دسائسهم ، والوقوف في وجه مطامعهم جيلا فجيلا ، وبديهي أن كتاب الله لا يورد القصص على أنها نوادر وأسمار ، وإنما يوردها تنويرا للبصائر والأبصار . ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف 7 / 118 ، وفي بداية هذا الربع يشير كتاب الله إلى باطل فرعون وسحرته ، وما جاؤوا به من سحر عظيم ، طمعا في مال فرعون وزلفى إليه ، وإلى أن باطلهم قد زهق أمام الحق الذي أبرزه الله على يد موسى وعصاه ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف 7 / 118 - 120. ويحكي كتاب الله هول المفاجأة الكبرى التي فوجئ بها فرعون وملأه عندما

سجد السحرة لله ، أمام معجزة موسى ، وآمنوا برسالته ، فاستنكر عليهم فرعون أن يؤمنوا بموسى دون إذن منه ، كأن الإيمان عملية مادية يستطيع الضمير لها دفعا ، وكأن مفاتيح القلوب في أيدي الطغاة والجبابرة يفتحونها متى شاؤوا ويقفلونها متى شاؤوا ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ الأعراف 7 / 123 ، واتهم فرعون سحرته بعد إيمانهم بأنهم دبروا مع موسى مؤامرة لقلب نظام الدولة ، وإخراج السلطة من يده ويد أعوانه ، كما حكى عنه كتاب الله قائلا : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف 7 / 123[1].

قال المولى عز وجل : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ طه 20/ 65 - 73

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير ، 2 / 235

قال سيد قطب[1] رحمه الله : "إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية. بانتصار العقيدة على الحياة. وانتصار العزيمة على الألم. وانتصار «الإنسان» على «الشيطان» ! إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية. بإعلان ميلاد الحرية الحقيقية. فما الحرية إلا الاستعلاء بالعقيدة على جبروت المتجبرين وطغيان الطغاة. والاستهانة بالقوة المادية التي تملك أن تتسلط على الأجسام والرقاب وتعجز عن استذلال القلوب والأرواح. ومتى عجزت القوة المادية عن استذلال القلوب فقد ولدت الحرية الحقيقية في هذه القلوب.إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان إفلاس المادية! فهذه القلة التي كانت منذ لحظة تسأل فرعون الأجر على الفوز، وتمنى بالقرب من السلطان.. هي ذاتها التي تستعلي على فرعون وتستهين بالتهديد والوعيد، وتُقبل صابرة محتسبة على التنكيل والتصليب. وما تغير في حياتها شيء، ولا تغير من حولها شيء- في عالم المادة- إنما وقعت اللمسة الخفية التي تسلك الكوكب المفرد في الدورة الكبرى. وتجمع الذرة التائهة إلى المحور الثابت، وتصل الفرد الفاني بقوة الأزل والأبد.. وقعت اللمسة التي تحوّل الإبرة، فيلتقط القلب إيقاعات القدرة، ويتسمع الضمير أصداء الهداية، وتتلقى البصيرة إشراقات النور.. وقعت اللمسة التي لا تنتظر أي تغيير في الواقع المادي ولكنها هي تغير الواقع المادي وترفع «الإنسان» في عالم الواقع إلى الآفاق التي

---

(1) سيد قطب بن إبراهيم: (1324 - 1387 هـ = 1906 - 1967 م) مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 هـ (1934 م) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. ثم (مراقبا فنيا) للوزراة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (1948 - 51) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. وبنى على هذا استقالته (1953) في العام الثاني للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (1953 - 54) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها

لم يكن يطمح إليها الخيال! ويذهب التهديد.. ويتلاشى الوعيد.. ويمضي الإيمان في طريقه. لا يتلفت، ولا يتردد، ولا يحيد! ويسدل السياق القرآني الستار على المشهد عند هذا الحد ولا يزيد.. إن روعة الموقف تبلغ ذروتها وتنتهي إلى غايتها. وعندئذ يتلاقى الجمال الفني في العرض مع الهدف النفسي للقصة، على طريقة القرآن في مخاطبة الوجدان الإيماني بلغة الجمال الفني، في تناسق لا يبلغه إلا القرآن .

ولكننا نحن في هذه الظلال ينبغي أن نقف وقفة قصيرة أمام هذا المشهد الباهر الأخاذ

نقف ابتداء أمام إدراك فرعون وملئه أن إيمان السحرة برب العالمين، رب موسى وهارون، يمثل خطراً على نظام ملكهم وحكمهم لتعارض القاعدة التي يقوم عليها هذا الإيمان، مع القاعدة التي يقوم عليها ذلك السلطان.. وقد عرضنا لهذا الأمر من قبل.. ونريد أن نقرر هذه الحقيقة ونؤكدها.. إنه لا يجتمع في قلب واحد، ولا في بلد واحد، ولا في نظام حكم واحد، أن يكون الله رب العالمين، وأن يكون السلطان في حياة الناس لعبد من العبيد، يباشره بتشريع من عنده وقوانين ، فهذا دين وذلك دين ، ونقف بعد ذلك أمام إدراك السحرة- بعد أن أشرق نور الإيمان في قلوبهم، وجعل لهم فرقاناً في تصورهم- أن المعركة بينهم وبين فرعون وملئه هي معركة العقيدة وأنه لا ينقم منهم إلا إيـــمانـــهم برب العالمين

.

وفي هذه الآية كذلك المثل العجيب للثلة التي ثبتت على الحق بعدما تبين ، فإننا نرى معنى عظيماً من معاني الثبات يستقر في النفس أمام تهديدات الظالم وهو يقول : ﴿قَالَ

ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ طه 71/20 .

ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ طه 72/20 ، 73 ، وهكذا : قصة المؤمن في سورة يس، ومؤمن آل فرعون، وأصحاب الأخدود، وغيرها : يكاد الثبات يكون فيها أعظم دروسها قاطبة. وقال الباري سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال 8 / 24 . إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة..إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة، ومن الخضوع المذل للأسباب الظاهرة والحتميات القاهرة، ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات سواء.. ويدعوهم إلى شريعة من عند الله تعلن تحرر «الإنسان» وتكريمه بصدورها عن الله وحده، ووقوف البشر كلهم صفا متساوين في مواجهتها لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم.. ولكنهم ينطلقون كلهم أحراراً متساوين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد. ويدعوهم إلى منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة، المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان، العليم بما خلق هذه الضوابط التي

تصون الطاقة البانية من التبدد ولا تكبت هذه الطاقة ولا تحطمها ولا تكفها عن النشاط الإيجابي البناء. ويدعوهم إلى القوة والعزة والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والإنطلاق في «الأرض» كلها لتحرير «الإنسان» بجملته وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله، فاستلبها منه الطغاة! ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله، لتقرير ألوهية الله سبحانه- في الأرض وفي حياة الناس وتحطيم ألوهية العبيد المدعاة ومطاردة هؤلاء المعتدين على ألوهية الله- سبحانه- وحاكميته وسلطانه حتى يفيئوا إلى حاكمية الله وحده وعندئذ يكون الدين كله لله. حتى إذا أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة" [1].

المبحث الثاني

الإمامة تنال بالصبر والصلاة

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة 32/ 24 . "أشير إلى ما منَّ الله به على بني إسرائيل إذ جعل منهم أيمة يهدون بأمر الله والأمر يشمل الوحي بالشريعة لأنه أمر بها، ويشمل الإنتصاب للإرشاد فإن الله أمر العلماء أن يبينوا الكتاب ويرشدوا إليه فإذا هدوا فإنما هدوا بأمره وبالعلم الذي أتاهم به أنبياؤهم وأحبارهم فأنعم الله عليهم بذلك لما صبروا وأيقنوا لما جاءهم من كتاب الله ومعجزات رسولهم فإن كان المراد من قوله بآياتنا يوقنون دلائل صدق موسى عليه السلام ،

(1) سيد قطب : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن ، الناشر، دار الشروق - بيروت- القاهرة ، الطبعة ، السابعة عشر - 1412 هـ ، 1494/3

فالمعنى: أنهم صبروا على مشاق التكليف والخروج بهم من أرض مصر وما لقوه من فرعون وقومه من العذاب والاضطهاد وتيههم في البرية أربعين سنة وتدبروا في الآيات ونظروا حتى أيقنوا.

وإن كان المراد من الآيات ما في التوراة من الشرائع والمواعظ فإطلاق اسم الآيات عليها مشاكلة تقديرية لما هو شائع بين المسلمين من تسمية جمل القرآن آيات لأنها معجزة في بلاغتها خارجة عن طوق تعبير البشر. فكانت دلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا نحو ما وقع في حديث رجم اليهوديين من قول الراوي: فوضع اليهودي يده على آية الرجم [1]، أي الكلام الذي فيه حكم الرجم في التوراة فسماه الراوي آية مشاكلة لكلام القرآن. وفي هذا تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم يكونون أيمة لدين الإسلام وهداة للمسلمين إذ صبروا على ما لحقهم في ذات الله من أذى قومهم وصبروا على مشاق التكليف ومعاداة أهلهم وقومهم وظلمهم إياهم. وتقديم بآياتنا

---

(1) الإمام مالك: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) ، موطأ الإمام مالك ، تحقيق: بشار عواد معروف – محمود خليل ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،سنة النشر: 1412 هـ ن15/2 ،كِتَاب الْحُدُودِ بلفظ : أخبرنا أبو مصعب، قال: حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، أنه قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ قالوا: نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله: ارفع يدك فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجما. قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة. : البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ط، الأولى، 1422هـ، 6 / 192، باب: كتاب الحدود: باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم، إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام ، 8/ 172 : مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم –صحيح مسلم – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت 1326/3 كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ، 3/ 1326.

على يوقنون للاهتمام بالآيات" [1].

"والصلاةُ ســـمةُ المسلمِ حيـــن الرخاءِ وحيـــن الشدةِ ، قال الله تعالى لهم : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس 10 / 87 . أي اتخذا لهم بيوتاً للصلاة والعبادة واجعلوا بيوتكم مصلّى تصلون فيها عند الخوف قال ابن عباس: كانوا خائفين فأمروا أن يصلّوا في بيوتهم ﴿ وَأَقِيمُواْ الصلاة ﴾ أي أدوا الصلاة المفروضة في أوقاتها، بشروطها وأركانها على الوجه الأكمل ﴿ وَبَشِّرِ المؤمنين ﴾ أي بشّر يا موسى أتباعك المؤمنين بالنصر والغلبة على عدوهم" [2].

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ الأعراف 128/7. وقال لهم ولغيرهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة 153/2. ويقول تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص 5/28، أمة مستضعفة تتحول إلى أئمة، لكن متى تكون هذه الإمامة؟

---

(1) بن عاشور : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة : 1984 هـ ، 237/21 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،193/20: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1420 هـ ،150/25

(2) الصابوني: محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ،الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ،الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 553/1 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،171/15: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) ، فتح القدير ،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت ،الطبعة: الأولى - 1414 هـ ،440/3 :2/3، 527/441

بشرطين: الصبر واليقين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة 32/ 24، الأمم غير الموقنة .. غير المتأكدة من صحة المسار .. غير المقتنعة بالمنهج الذي تسير عليه لا تستطيع أن تصل إلى القيادة والريادة في هذه الحياة، الأمم التي لا تصبر نفسها، ولا تريد أن تتحمل المشاق في طريق هذه الحياة؛ لا تستطيع أيضاً ولا يمكن أن تحصل على قيادة هذه الحياة، أما هنا فالله تعالى يقول: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ﴾ القصص 5/28، يتحول من مستضعف في الأرض إلى إمام، وحينما يكون إماماً عليه أن يعي الدرس الذي يكلف به، لا يعتبر الإمامة والسلطة منطلقاً لاستذلال الأمم، وإنما يعتبرها كما أخبر الله عز وجل عنها : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ الحج 22/ 41، في أنفسهم وفي غيرهم، ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ الحج 41/22، في أنفسهم وفي غيرهم. ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الحج 41/22 ، هذه هي مقومات الإمامة، وهذه هي نتائج الإمامة في هذه الأرض، وهنا في قول تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص 5/28، الوارثون لمن؟ الوارثون للسلطان الذي سوف ينتهي عما قريب على يد هذا الطفل، الذي ولد وتربى في بيت فرعون، ثم هو أيضاً يريد أن يقضي على هذا الملك في لحظة واحدة كما هو في آخر القصة؛ لأن آخر القصة ونهاية القصة، كما أخبر تعالى: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ الأعراف 7 / 137-138، فجعل الله لهم خلاصاً ومنهجاً بعد أن أوقع الطاغية وجنوده شر موقع . أما صبر سحرة فرعون، كان من

أروع نماذج صبر أتباع الرسل وثباتهم على الحق؛ يقول الله – تعالى – قاصًّا علينا ما حدث لسحرة فرعون بعد رسالة موسى – عليه السلام – ﴿ قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى* قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ طه 71/20-73 ، "حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب –شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة، فتهددهم وأوعدهم وقال ﴿ آَمَنْتُمْ لَهُ ﴾ أي: صدقتموه ﴿ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ ﴾ أي: وما أمرتكم بذلك. وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى، واتفقتم أنتم وإياه علي وعلى رعيتي، لتظهروه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُون ﴾ الأعراف 123/7. ثم أخذ يتهددهم فقال: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ أي: لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم. قال ابن عباس: فكان أول من فعل ذلك. رواه ابن أبي حاتم. وقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ أي أنتم تقولون: إني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى. فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه. فلما صال

عليهم بذلك وتوعدهم، هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل، ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أي: لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين. ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ يحتمل أن يكون قسما، ويحتمل أن يكون معطوفا على البينات. يعنون: لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت. ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ أي: فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك، ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما لك تسلط في هذه الدار، وهي دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار.﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴾ أي: ما كان منا من الآثام، خصوصا ما أكرهتنا عليه من السحر لنعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه. وفي قوله : ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ قال: أخذ فرعون أربعين غلاما من بني إسرائيل فأمر أن يعلموا السحر بالفرما، وقال: علموهم تعليما لا يعلمه أحد في الأرض. قال ابن عباس: فهم من الذين آمنوا بموسى، وهم من الذين قالوا: ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ أي: خير لنا منك ﴿ وَأَبْقَى ﴾ أي: أدوم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا. وهو رواية عن ابن إسحاق، رحمه الله. والظاهر أن فرعون -لعنه الله-صمم على ذلك وفعله بهم، رحمهم الله؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف : أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء"[1].

(1) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م ، 305/5 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،340/18 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود

المبحث الثالث

العلو و الإستكبار في الأرض نهاية مؤلمة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص 4/28 ، "أي تجبر وتكبر ، حتى ادعى الربوبية والألوهية ، والمراد " بالأرض " هنا أرض مصر . ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي فرق بينهم فأغرى بعضهم ببعض ، وسلط بعضهم على بعض ، حتى يكونوا أطوع له من بنانه ، ويستسلموا لعدوانه وطغيانه . ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ

البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،285/5

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ المراد " بالطائفة المستضعفة " في ذلك العهد بنو إسرائيل ، ويجري على غيرها من الطوائف المستضعفة في بقية العهود ما جرى عليها . قال ابن عباس : " لما كثر بنو إسرائيل بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ، فسلط الله عليهم القبط وساموهم سوء العذاب ، إلى أن نجاهم الله على يد موسى عليه السلام " . ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ سجل كتاب الله هنا على فرعون صفة " الفساد " التي هي أبغض صفة إلى الله تحرق الأخضر واليابس ، وتدمر البلاد والعباد ، وبهذا التسجيل الإلهي المؤكد أبرز كتاب الله أنه لا يرضى للرؤساء من عباده الكبر والجبروت ، ولا يرضى للمرؤوسين منهم الفرقة والشتات ، ولا يرضى استضعاف طائفة وتسخيرها وإهدار حقوقها لصالح بقية الطوائف ، وإنما يرضى لهم جميعا المساواة في الحقوق والواجبات والعيش الكريم" [1].

التسلط على الشعوب، وأذية الأمم ، والجلوس لهم بالمرصاد، هذا أخطر شيء في حياة الأمم؛ لأن الإنسان حينما يعصي بينه وبين ربه سبحانه وتعالى فهذه معصية تحت مشيئة الله عز وجل وإرادته، ما لم تصل إلى درجة الكفر أو الشرك ، لكن إذا وصل إلى استذلال الأمم، وأذية المؤمنين، فهذا أخطر شيء في دمار الدول ونهايتها وسقوطها في أقرب وقت ممكن، ولذلك هذا هو الذي عجل نهايته، قال تعالى: ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ . ولذلك فإننا نقول لكل زعيم يريد أن يحكم بحكم الله في هذه الأرض: أنه ليست مهنته استذلال البشر؛ لأن استذلال البشر معناه أن يضعف القاعدة التي

(1) الناصري : محمد المكي الناصري ، التيسير في أحاديث التفسير 4 / 483

يقوم عليها؛ لأنه لا يقوم سلطان لأحد في هذه الأرض إلا على قاعدة، وهذه القاعدة هم هؤلاء المؤمنون الأتقياء الصالحون، فحينما يستضعفون ويستذلون، وتسلط عليهم الأضواء، وتتابع أنفاسهم .. إلى غير ذلك، وتفسر وتؤول كلماتهم خلاف ما يريدون، ويؤدي ذلك إلى أن تنشأ أمة ضعيفة هزيلة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها وعن كيان أمتها، يؤدي ذلك إلى ضعفهم وعدم قدرتهم على البقاء. وهذا هو الذي أحدثه فرعون .. أضعف القاعدة، واستذل الأمة، وصار يذبح الأبناء، ويستحيي النساء؛ لأنه كان من المفسدين، هو لا يريد الإصلاح، لو أراد الإصلاح لكان الأمر غير ذلك، إذاً: الذي حدث هو استذلال هذه الأمة فأدى ذلك إلى سقوط مُلكه ونهايته. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص 4/28 ، وكلمة: ﴿ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾دليل على أنه ليس هو وحده المفسد، فالمفسدون في القديم وفي الحديث موجودون، والعجيب أن هؤلاء المفسدين من طبيعتهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ البقرة 11/2، قال الله تعالى لهم : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة 12/2.قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ

هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص 28/ 36 - 43. "يخبرنا البيان الإلهي عن مجيء موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وآله وما آتاهما الله تبارك وتعالى من المعجزات الباهرة والدلالات القاهرة. فراقب فرعون وآله تلك المعجزات وتحققوا منها بأنها من عند الخالق جل جلاله بيد أنهم عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى الطغيان والتكبر والابتعاد عن أتباع الحق فقالوا ما هذا إلا سحر تعلمه أنت ثم تفتريه على الله كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله [1]".

إن فرعون إمام الظالمين انتزع من سلطانه واستدرج هو وجنوده إلى هلاكهم .

ولسوف ينتزع الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته على أيدينا نحن أبناء هذه الآمة أتباع فرعون ومقلديه من الكافرين والجاحدين والمنافقين . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ ، أي جعلناهم زعماء يتبعون على الكفر فيكون عليهم وزرهم ووزر من إتباعهم ويوم القيامة لا يجدون من ينصرهم ويخرجهم من هذا العذاب

(1) النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ) ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ،الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ،الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م ،643/2 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،583/19 : ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، 1388 هـ - 1968 م، 239/6

،لقد جعلهم جل جلاله من المطرودين المخلدين في النار جهنم وبئس المصير"[1] . فقصة موسى وفرعون تحوي بين طياتها عبراً كثيرة لأولى الألباب . فيها عبر للمستضعفين الصابرين وإنذار غليظ للمفسدين في الأرض وأن عاقبة الحسنة للمؤمنين المتقين ،والعقاب المهيمن للطغاة الظالمين .

وهنا أحببت أن أشير إلى شيء : لقد كان فرعون يتيه بقوته وثروته.. قوة فرعون في ملائه وجنده، وتتركز تلك القوة في قصر فرعون.. وثروة فرعون في الأرض الزراعية المصرية، وتتركز تلك الثروة في نهر النيل الذي صارت به مصر مصرا.. وقد وقف فرعون يتيه بقوته وثروته، قال تعالى : ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ الزخرف 43/ 51. أي تحدث عن قومه " أي قوته " وتحدث عن ثروته " ملك مصر " و" نهر النيل ".. وبإرادة الله الواحد القهار كان نهر النيل يعمل ضد فرعون ويتآمر عليه. بدأ ذلك مع بداية فرعون في اضطهاد بني إسرائيل وذبحه لأطفالهم واستحيائه لنسائهم.. عندها بدأ النيل يتآمر على فرعون.. حمل النيل التابوت وفيه موسى رضيعا إلى قصر فرعون ليقوم فرعون نفسه بتربية موسى ورعايته، ثم واصل النيل مؤامراته ضد فرعون فحمل إلى فرعون وآله الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم،

---

(1) تفسير القرطبي ، ، 289/13 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،146/3: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1420 هـ ،598/24

وكانت تلك مجرد إنذارات فلما لم يتعظ بها فرعون وآله كان غرقه أخيرا في اليم.. ويلاحظ أن كلمة " اليم " لم تأت في القرآن إلا وصفا للنيل والبحر وفي قصة موسى فقط.. والقرآن يستعمل كلمة " اليم " وصفا للنيل والبحر معا في قصة موسى، فيقول : ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ طه 39/20 . وكلمة" اليم"هنا وصف للنيل. والقرآن يقول: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ الأعراف 7 / 136، واليم هنا يعني البحر. وعموما فالبحر معناه في القرآن النهر والبحر المالح، يقول تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فاطر 35/ 12. وكان غرق فرعون في البحر الأحمر حين طارد موسى وقومه وهم يهربون منه شرقا كما في قوله عز وجل : ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ الشعراء 60/26 – 63. على أنه كان للنيل دور آخر في الإجهاز على ما تبقى من قوة فرعون، والله تعالى يقول: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ الأعراف 137/7. والمستفاد من ذلك أن طوفانا لنهر النيل قام بتدمير منشآت فرعون في مصر ، واقترن هذا بتدمير فرعون نفسه وغرقه في البحر الأحمر ونجاة بني إسرائيل. وفرعون في سطوته كان يقول : ﴿وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ الزخرف 43 / 51 . أي أنه تحدث عن أنهار وليس نهرا واحدا، ومعنى

ذلك أنه أقام منشآت وسدودا وتحول النهر الواحد إلى أنهار.. وما كان يصنعه فرعون تم تدميره بالطوفان، أي أن النيل – الذي كان من عناصر قوة فرعون- أسهم أيضا في القضاء على قوة فرعون.. والذي نريد التذكير به أن النيل كان نعمة من الله لفرعون فلما طغى تحولت النعمة إلى نقمة.. وكفران النعمة هو أسرع الطرق لفقدانها، والله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ إبراهيم 28/14 . وكما تمثلت ثروة فرعون في النيل فأن قوته تركزت في قصره.. الذي كان يطل على النيل، فدمره الله ودمر ثروته ،وكانت نهايته ما أخبر به الباري تعالى : ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ يونس 91/10 ، 92 .

قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره، معرِّفًا فرعون قبح صَنيعه أيّام حياته وإساءته إلى نفسه أيام صحته، بتماديه في طغيانه، ومعصيته ربه، حين فزع إليه في حال حلول سَخطه به ونزول عقابه، مستجيرًا به من عذابه الواقع به، لما ناداه وقد علته أمواج البحر، وغشيته كرَبُ الموت: ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس 90/10 . له، المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية = الآن تقرُّ لله بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتخلص له الألوهة، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض، الصادِّين عن سبيله؟ فهلا وأنت في مَهَلٍ، وباب التوبة لك منفتح،

أقررت بما أنت به الآن مقرٌّ ؟ " [1].

المبحث الرابع

(1) الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م ،194/15 : الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة - 1420 هـ ،135/1 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،433/2

الدعاء وصدق اللجوء إلى الله منجيان للعبد

إن الدعاء لغة: الطلب والابتهال: يُقال: دعوتُ الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير" [1] "ودعا الله: طلب منه الخير ورجاه منه، ودعا لفلان: طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب له الشر" [2]."والدعاء: سؤال العبد ربه على وجه الابتهال، وقد يطلق على التقديس والتحميد ونحوهما"[3].

الثبات على دين الله عز وجل نعمة من الله يمن بها على من يشاء من عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ إبراهيم 14/ 27 . وقال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام 6/ 110 . وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال 8 / 24 . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قلوب بني آدم كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ يصرِّفه حيث يشاء). ثم قال: (اللهم مُصرِّفَ القلوبِ صرِّفْ قلوبَنا على طاعتِك [4]). رواه مسلم. وروى الإمام أحمد في مسنده قال: (حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سمعت – يعني ابن جابر ـــ يقول: حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي: أنَّه سمع أبا إدريسٍ

---

(1) أبو العباس : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـــ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ، 1/ 194

(2) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة، 268/1

(3) أبو حبيب : الدكتور سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ،الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية ،الطبعة: الثانية 1408 هـــ = 1988 م ،تصوير: 1993 م ص131

(4) مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـــ) ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر، دار إحياء التراث العربي – بيروت 2045/4 ، الحديث برقم 2654 ،كتاب القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.

الخولاني يقول: سمعت النوَّاس بنَ سمعان الكلابي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه)، وكان يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك). (والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه)" [1] .

لذلك لجأ الراسخون في العلم، العالمون بالله، الراغبون في طاعته إليه وحده داعينه سبحانه أن يحفظهم من زيغ القلوب ومضلات الأهواء: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ آل عمران 8/3 .

المتأمل في قصص الأنبياء يتبين له تجلى صدق اللجوء إلى الله عز وجل لأنبيائه ورسله ،وخاصة في قصة موسى عليه السلام في كثير من المواقف ، من ذلك، حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه؛ فانفلَق إثنى عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ الشعراء 63/26 . ومثال ثانٍ : آية عيسى صلى الله عليه وسلم حيث قال الله عز وجل : ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *

(1) ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م: إسناده صحيح على شرط الشيخين ،178/29

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ آل عمران 3/ 49 – 51 .

ومثال ثالث: لمحمد صلى الله عليه وسلم حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر؛ فانفلق فرقتين، فرآه الناس[1] ، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ القمر 54/ 1، 2 . إلى غيرها من الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم، تدلُ دلالة قطعية على أن الثبات على من عند الله قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة 2/ 6، 7

قد بلغ من سخرية الله تعالى بفرعون أن استخدمه في حماية موسى وتنشئته.. حيث كان فرعون يذبح الأطفال، فسخره الله لتربية الطفل الذي سيهلك فرعونا على يديه.. وفي ذلك درس آخر للذين يتوكلون على الله ويثقون في وعده الذي لابد أن يتحقق..

---

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ط، الأولى، 1422هـ، 6 / 192، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر ،4/ 206 : مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم –صحيح مسلم – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،باب انشقاق القمر 4/ 2147

حين خافت أم موسى على وليدها الرضيع أوحى الله إليها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ القصص 28 / 7 ، لم يقل لها إذا خفت عليه فخذيه في أحضانك، بل ارميه في النيل، وكان النيل وقتها في الفيضان لأن القرآن وصفه بجريان اليم.. ثم جاء وعد الله للأم الخائفة : ﴿ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص 28/ 7 ، وحمل النيل الأمانة إلى قصر فرعون المطل على النهر: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص 28/ 8 . هل هناك سخرية أكثر من ذلك ؟

فالمتامل في قصة موسى وفرعون، يتبين له أن أم موسى فهمت التوكل على الله فهما صحيحا. فالتوكل، إنما يعني العمل مع الاعتماد على الله والثقة فيه.. ولذلك فأنها بعد أن ألقت رضيعها في النيل أمرت أخته بتتبع التابوت ومصيره : ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ القصص 28/ 11 ، وجاءت لها الأخت بأخبار الرضيع، وأنه يرفض المرضعات، وذهبت الأخت لهم تخبرهم بمرضعة وأهل بيت يكفلون الرضيع: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ القصص 28/ 12.

"لما قالت ذلك أخذوها، وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤورة الملك ورجاء منفعته. فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى مترلهم، فدخلوا به على

أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحا شديدا. وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وأعطتها عطاء جزيلا وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها. ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلا وأولادا، ولا أقدر على المقام عندك. ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت. فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي والإحسان الجزيل. فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا، في عز وجاه ورزق دار. و لم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل: يوم وليلة، أو نحوه ، فسبحان من بيديه الأمر! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجا، وبعد كل ضيق مخرجا. ولهذا قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ القصص 28/ 13 ، أي: به، ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾ أي: عليه: ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ القصص 28/ 13 ، أي: فيما وعدها من رده إليها، وجعله من المرسلين. فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين، فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعا وشرعا. وقوله: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص 28/ 13 ، أي: حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة، التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة، فربما يقع الأمر كريها إلى النفوس، وعاقبته محمودة في نفس الأمر، كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة 2/ 216 ،وقال تعالى: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء 4/

19" [1]. وهكذا عاد موسى لامه وبيته متمتعا بحماية الفرعون نفسه وذلك لصدق لجوئها الى الله ، فالله تعالى استخدم قوة فرعون ضد فرعون . وجعله في خدمة موسى وأم موسى.. ووعد أم موسى وصدق وعده.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه، وأيده بمعجزتين، إحداهما هي العصا التي تلقف الثعابين، أما الأخرى فكانت يده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دعا موسى إلى وحدانية الله عز وجل فحاربه فرعون ، وجمع له السحرة ليكيدوا له ولكنه هزمهم بإذن الله تعالى ، ثم أمره الله أن يخرج من مصر مع من اتبعه ، فطارده فرعون بجيش عظيم ، ووقت أن ظن أتباعه أنهم مدركونه ، أمره الله أن يضرب البحر بعصاه لتكون نجاته وليكون هلاك فرعون الذي جعله الله عبرة للآخرين .

استناداً لكل ما جاء في دراستنا عن قصة موسى عليه السلام وفرعون في القرآن الكريم

أولا : نجد أن موضوع (القوة) ، يأخذ جانباً كبيراً في ثنائية ، طرفاها : قوة فرعون كحاكم ، تقابلها قوة موسى وهارون التي يساندها الله تعالى بعزته وجلاله .

أما الأول : فبما أنها نابعة من البطش المعتمد على السلاح بموازين ذلك الزمن ، فهي

(1) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق ، سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م ، 6/ 224 : الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى، 1420 هـ - 2000 م،534/19 : البغوي : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ،تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م،195/6

(آلية) في طابعها . وطالما أن القوة الآلية ، كقاعدة معتمدة على التمويل المالي ، فهي (مادية) ، ويمكن تصنيفها المجمل بالقوة المادية . أما قوة موسى وأخيه عليهما السلام فهي روحية في طابعها . والقوة الروحية هي القوة النابعة من التعقل والإيمان والحكمة والأخلاق . وبما أن كل تلك المقومات هي أساس الطاقة المعنوية التي تُكسِب صاحبها شجاعة نادرة ، وجرأة على تثبيت الحق وتوطيد العدل ، لذا ، يمكن تصنيف القوة الروحية بمجملها بالقوة الروحية المعنوية ، المدعمة بقوة الباري عز وجل . هذا ، والقوة المادية ،كما هي متمثلة بفرعون . موجهة نحو الظلم والطغيان . أما الثانية كما هي متجسدة بموسى وهارون ، فهي موجهة نحو وضع حد للظلم ذاك ، بأساليب قيمة ، مدعمة من الله تعالى بالمعجزات ، تحمل في طياتها الدروس الآتية: أولا : التنفير من القوة المادية ، مع إبراز لمظاهرها ، ثم التأكيد أن مصيرها هو الإنهيار مع أصحابها ، لما تحدثه من أضرار للمستضعفين.

ثانياً : الترغيب في القوة الروحية تلك ، مع تزويد للقارىء بمفهومها ، ثم وضعها كالعامل الجوهري في إرجاع الموازين الملتوية بفعل الطغاة إلى نصابها الصحيح ، على مدى الأزمان ، وفي شتى الأمكنة ، عند نشوء الحاجة .

نستفيد من قصة موسى عليه السلام وفرعون عدة أمور منها :

1. قد رأينا يوم أن طغى فرعون على بني إسرائيل وأذلهم غاية الإذلال .
2. أن الله إذا وعد فوعده الحق جل في علاه يوم أن أرجع موسى إلى أمه .
3. أن الله ينشأ عباده النشأة المستقيمة ويحفظهم بحفظه ويكلأهم برعاية حيث جعل

الله نشأة موسى في قصر عدوه مع ذلك لم يمسسه بسوء .

4. أن الله يمتحن عباده ويختبرهم ويجعلهم يستفيدون مما مروا عليه من اختبار حينما حصلت فتنة قتل موسى لأحد من آل فرعون ..

5. أن جميع الأنبياء عملوا في رعاية الغنم ومنهم نبي الله موسى عليه السلام .

6. أن الله حكيم في تعليمه لأنبياءه حيث تدرج مع موسى في سؤاله حين بدأه وما تلك بيمينك يا موسى .

7. سرعة التفيذ حين استجاب موسى لأمر الله حين قال له ألقها أي العصى فألقاها فصارت تعبانا .

8. أنك عندما تكون مع الله في الرخاء يكن معك في الشده وتهل عليك الطمأنينة والأمان من عند الله .

9. سرعة التوبة والإستغفار حيث أنه حينما قتل موسى الرجل قال مباشرة :﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص 28 / 16 .

10. عظم أمر العفة بأن موسى لم يتكلم مع الفتاتين إلا في موضع واحد وهو سؤاله لهم في البداية .

11. عظم أمر الحشمة وأنه حفظ للمرأة من عيون الرجال حيث أن الفتاتين ابتعدتا عن مكان تجمع الرجال وانتظرتا حتى ينتهي الرجال من مهامهم في السقي .

الخاتمة

وفيها النتائج و المقترحات

أولا النتائج :

بعد السباحة والسياحة في هذا البحث والموضوع أجد بعض النتائج التي توصلت إليها والتي من أهمها :

1 - أن الله سبحانه وتعالي لم يخلقنا عبثا وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة فقد جاءت الشريعة بأدق التفاصيل لما يحتاجه المرء في حياته كما ذكر في سير السلف رحمهم الله .

2 - خدمة العلماء رحمهم الله لهذا الدين والمحافظة عليه بأن بينوا الموضوع من السليم في السير والقصص .

3 - رفع الملام عن خلافات العلماء رحمهم الله في المسائل الفرعية التي ذكرت في قصص الأولين .

4 - عظم مكانة موسى عليه السلام عند الله وأنه كليم الله .

5 - اعتبار بعض القصص من المواعظ التي ترد الناس إلى طريق الخير والهدى والرشاد

المقترحات

فيما يلي أهم المقترحات التي توصلت إليها من خلال بحثي :

1- انتخاب القصص المدهش الآسر والأخاذ من كتب الشمائل والسير وتبسيطه وتزويد المكتبات العامة به ، لإرواء أبنائنا وبناتنا من هذا الفيض ، حتى يشب النشء على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائر الرسل ، والتخلق بأخلاقه ، والاقتداء بهديهم صلاة الله عليهم وسلامه أجمعين .

2- التعريف بقصص الأنبياء وبيان سيرهم وما قاسوه لبلاغ هذه الدعوة.

3- توجيه الإعلاميين المعنيين بعرض قصص الأنبياء من خلال أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة وغيرها لجعل هذه الكتب – كتب الشمائل – النبراس لهم عند تعرضهم لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وباقي الرسل .

4- توجيه طاقة الباحثين والمحققين لدراسة هذه السير لهؤلاء الأنبياء والرسل وإخراج الفوائد والعبر منها ليتربى عليها الصغار والكبار.

٥ -توجيه أنظار الدعاة والوعاظ والمعلمين للتحدث عن أخلاق السلف الصالح عموما والأنبياء والرسل خصوصا . الاعتراف بالعجز والتقصير في إيفاء الحق في كتابة هذا الموضوع .

فهرسة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إتحاف المطالع : ابن سودة ، عبد السلام عبد القادر، تحقيق: محمد حجي، طبعة: دار الغرب ، الطبعة الأولى، 1417هـ1997م .

أحكام القرآن : أبو بكر بن العربي: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي ، المتوفى : 543هـ ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه : محمد عبد القادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1424 هـ - 2003 م .

الأدب المفرد للبخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، المتوفى: 256هـ، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

الأعلام :الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.

تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو

الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية .

تاريخ دمشق : ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: 1415 هـ - 1995 م.

التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : الطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التونسي توفي : 1393هـ ، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر : 1984 هـ .

تفسير القرآن العظيم : ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المتوفى : 774هـ ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، الناشر : دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، الطبعة الأولى - 1419 ه .

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : الزحيلي : الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ،1418ه.

تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير – رضي الله عنهما – توفى: 68 ه، جمعه : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، المتوفى: 817 ه ، دار الكتب العلمية – لبنان .

التيسير بشرح الجامع الصغير : المناوي : زيد الدين عبد الرؤوف بن علي، القاهري (المتوفى:1031هـ)، طبعة: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط: الثالثة، 1408هـ - 1988م.

التيسير في أحاديث التفسير : الناصري : محمد المكي الناصري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة 1985م.

جامع البيان في تأويل القرآن : الطبري : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، المتوفى: 310 هـ ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 2000م.

الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى : 671 هـ ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1384هـ - 1964 م .

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب : الهاشمي: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ت 1362 ه تحقيق ، لجنة من الجامعيين ، مؤسسة المعارف بيروت.

الروضة الفيحاء في أعلام النساء : العمري ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب (المتوفى: بعد 1232هـ)، تحقيق: رجاء السامرائي، طبعة: الدار العربية للموسوعات، 1987م.

زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م.

سل النصال : ابن سودة: عبد السلام بن عبد القادر، تحقيق: محمد حجي، طبعة: دار الغرب، ط: الأولى، 1417هـ 1997م، 174-175.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط، الرابعة، 1418 هـ - 1997 م.

صحيح البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ط، الأولى، 1422هـ.

صحيح مسلم – المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ،المتوفى: 261 هـ ، المحقق :محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت.

صفوة التفاسير : الصابوني : محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.

الطبعة الثالثة - 1414 هـ .

الطبقات الكبرى : ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد المتوفى : 230هـ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1990 م .

فضائل الصحابة : النسائي: أحمد بن شعيب بن علي أبو عبد الرحمن الخراساني، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط: الأولى، 1405هـ.

في ظلال القرآن : سيد قطب : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي المتوفى: 1385هـ ، الناشر : دار الشروق - بيروت- القاهرة ، الطبعة السابعة عشر - 1412 هـ

الكامل في التاريخ : ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المتوفى: 630 هـ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ، 1417هـ / 1997م .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله المتوفى: 538هـ ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ .

الكشف والبيان عن تفسير القرآن : الثعلبي : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ، المتوفى: 427 هـ ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق : الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1422، هـ - 2002م.

لسان العرب : ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت

مدارك التنزيل وحقائق التأويل : النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى: 710هـ ، حققه وخرج أحاديثه : يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له : محيي الدين ديب مستو ، الناشر : دار الكلم الطيب ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م .

المستدرك على الصحيحين : الحاكم : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفى : 405هـ ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م .

مسند الإمام أحمد بن حنبل : الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى: 241هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط: الأولى، 1421 هـ -

2001 م.

معجم البلدان : الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى: 626 هـ ، الناشر: دار صادر، بيروت-لبنان ، الطبعة الثانية ، 1995 م .

معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار: أحمد مختار عبد الحميد عمر (توفي، 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر عالم الكتب، الطبعة الأولى.

المعجم المختص بالمحدثين : الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م .

معجم المطبوعات العربية والمعربة : سركيس يوسف بن إليان بن موسى، الناشر: مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928 م .

معجم المؤلفين : كحالة : عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي المتوفى: 1408هـ، الناشر: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

المعجم الوسيط : المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة.

معجم مقاييس اللغة : ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة: دار الجيل، 1420هـ، 1999م.

معلمة المغرب : من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، لعبدالله الجراري، الرباط، لمحمد رياض،

الطبعة الأولى، سنة:1426هـ، 2005م.

مفاتيح الغيب – التفسير الكبير : الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى: 606 ه ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة - 1420 هـ .

مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني ،توفي: 1367هـ ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى.

فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــــــــــــــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	البقرة 2	7 ،6	166
2	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	البقرة 2	12،11	159
3	﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	البقرة 2	73	176
4	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	البقرة 2	153	153
5	﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	البقرة 2	216	168
6	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـــكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَشْكُرُونَ ﴾	البقرة 2	243	176

7	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـــي هَـــذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة 2	259	176
8	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾	آل عمران3	8	165
9	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾	آل عمران 3	44	173
10	﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾	آل عمران 3	49 – 51	165
11	﴿ قُلْ فَأْتُواْ بالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	آل عمران 3	93	174
12	﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	النساء 4	19	168
13	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـــكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾	النساء 4	157	174
14	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ...إلى قوله تعالى ..وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	النساء 4	165-163	17
15	﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾	النساء 4	164	19
16	﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ	المائدة 5	16 ، 15	4

	وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ﴾			
17	﴿ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾	المائدة 5	19	19
18	﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾	الأنعام 6	34	174
19	﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	الأنعام 6	110	164
20	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ ﴾	الأعراف 7	59	172
21	﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين ﴾	الأعراف 7	60	173
22	﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾	الأعراف 7	66	173
23	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾	الأعراف 7	103	146
24	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	الأعراف 7	103، 104	94
25	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	الأعراف 7	117 - 126	94
26	﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ	الأعراف 7	113- 122	146

	النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾			
27	﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾	الأعراف 7	128	153
28	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّـهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	الأعراف 7	130-132	134
29	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾	الأعراف 7	133	134
30	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	الأعراف 7	133،134	137
31	﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾	الأعراف 7	134،135	139
32	﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾	الأعراف 7	136	142
33	﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾	الأعراف 7	136	161
34	﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾	الأعراف 7	137	161
35	﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾	الأعراف 7	137-138	154
36	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	الأعراف 7	204	84
37	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا	الأنفال 8	24	150

	يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾			
38	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	الأنفال 8	24	164
39	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	يونس 10	87	153
40	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	يونس 10	90	142
41	﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	يونس 10	90	162
42	﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾	يونس10	92.91	143، 162
43	﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾	هود 11	34	174
44	﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾	هود 11	50	172
45	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾	هود 11	61	172
46	﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾	هود 11	84	172
47	﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾	هود 11	91	174
48	﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾	هود 11	113	69
49	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾	يوسف 12	3	172
50	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾	يوسف 12	111	175

51	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾	إبراهيم 14	27	164
52	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾	إبراهيم 14	28	162
53	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	الحجر 15	9	23
54	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ... ﴾	النحل 16	44	24
55	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾	الإسراء 17	101، 102	59
56	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ *إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّـهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾	طـــــه 20	16-11	83
57	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾	طه 20	22-17	88
58	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾	طـــــه 20	23- 17	58
59	﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	طه 20	24	92
60	﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ	طه 20	36-25	97

	أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾			
61	﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾	طه 20	35-33	102
62	﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾	طه 20	36	103
63	﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾	طه 20	39	161
64	﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾	طه 20	44 ،43	92
65	﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾	طه 20	57	93
66	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾	طه 20	59	121
67	﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّـهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾	طه 20	61	118
68	﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾	طـــــــه 20	62	93
69	﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ * قَالُوا إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾	طه 20	64-62	119
70	﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾	طه 20	63	120
71	﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾	طه 20	63	93
72	﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾	طه 20	65	122
73	﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى، قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾	طه 20	69-65	93

74	﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾	طه 20	66	122
75	﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾	طه 20	65-73	148
76	﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾	طه 20	67-70	124
77	﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾	طه 20	71	150
78	﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾	طه 20	71	126
79	﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى* قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾	طه 20	71-73	154
80	﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ	طه 20	72-76	128

	مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّـهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾			
81	﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ ﴾	طه 20	74	130
82	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	الأنبياء 21	25	171
83	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	الحج 22	41	154
84	﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾	الفرقان 25	2، 1	4
85	﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	الشعراء 26	17-15	105
86	﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾	الشعراء 26	19.18	106
87	﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	الشعراء 26	22-20	107
88	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	الشعراء 26	23	109
89	﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾	الشعراء 26	24	109
90	﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾	الشعراء 26	25	110
91	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ.....إلى قوله تعالى.... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾	الشعراء 26	68- 23	105
92	﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾	الشعراء 26	56-53	140

93	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	الشعراء 26	67-52	140
94	﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	الشعراء 26	85،57	141
95	﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾	الشعراء 26	63– 60	161
96	﴿ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	الشعراء 26	61	141
97	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾	الشعراء 26	63	141 165
98	﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾	الشعراء 26	64، 66	141
99	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	الشعراء 26	67	142
100	﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾	النمل 27	40	16
101	﴿ طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾	القصص 28	4 - 1	51
102	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾	القصص28	4	45
103	﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ	القصص 28	5، 6	55، 153

	وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾			154
104	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	القصص 28	7	51، 56
105	﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	القصص28	8 ، 9	53 57،
106	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	القصص 28	10- 13	53، 54، 62، 63
107	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	القصص 28	14	66
108	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾	القصص 28	15	67
109	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفور الرحيم﴾	القصص 28	16	68
110	﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	القصص 28	17	68، 109
111	﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾	القصص28	19.18	70
112	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ	القصص 28	20	70

	﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾			
113	﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾	القصص 28	26-22	75
114	﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾	القصص 28/	28.27	77
115	﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	القصص 28	32.31	88
116	﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾	القصص 28	34، 35	100، 101
117	﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي ﴾	القصص 28	38	109
118	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾	السجدة 32	24	152، 153
119	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ...إلى قوله تعالى ...فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾	الأحزاب33	71.70	17

120	﴿ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾	الصافات37	79	18
121	﴿ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ... ﴾	الصافات 37	109	18
122	﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ... ﴾	الصافات 37	120	18
123	﴿ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَـــجْزِي الْمُحْسنين... ﴾	الصافات 37	131،130	18
124	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّه﴾	الزمر39	18	85
125	﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	الزمر39	67	47
126	﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾	غافر 40	26	93
127	﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾	القمر 54	1، 2	166
128	﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾	القمر 54	41	46
129	﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾	الجمعة 62	9	85

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	الحديث	الصفحة
1	إن قلوب بني آدم كلَّها بين إصبعين من أصابع الرحمن	164
2	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	20
3	رفع القلم عن ثلاثة	85
4	لا يشكر الله من لا يشكر الناس	16
5	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	20
6	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها	85

فهرس المحتويات

Error! Bookmark not defined. ..... قرار توصية اللجنة
8 ..... ملخص البحث
14 ..... مقدمة
22 ..... عناصر خطة البحث
22 ..... مشكلة البحث
23 ..... أهمية وسبب اختياري
24 ..... أهداف البحث
24 ..... يصبو البحث إلي تحقيق وإبراز أهداف كثيرة منها:

الدراسات السابقة 26
منهج البحث..... 27
هيكل البحث 27
تقسيمات الرسالة..... 28
القصة لغة..... 32
القصة اصطلاحا..... 35
المقصود بالقصة في القرآن الكريم..... 37
الفرق بين القصة القرآنية والأدبية 39
سبب تكرار القصة القرآنية..... 39
المبحث الأول..... 48
نسبه ومولده..... 48
شيوخه وتلامذته: 49
المبحث الثالث 52
عصر المؤلف وفيه مطالب 52
المطلب الأول 52
الحياة الثقافية ومراحل طلبه للعلم..... 52
المطلب الثاني..... 54
الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية..... 54
المطلب الثالث..... 56
مؤلفات الشيخ محمد المكي الناصري ومنهجه في التفسير 56
الفصل الثاني 58
قصة موسى وفرعون شرح وتحليل 58
تأليه فرعون لنفسه ومظاهره. 60
مظاهر تأليه فرعون 63
المبحث الثاني..... 65
نسب ومولد موسى عليه السلام والمعجزات 65

نسبه عليه السلام 65
أمه وزوجه عليه السلام 65
مولده عليه السلام 66
المعجزات 75
موقف أم موسى عليه السلام وأخته من تربية موسى 79
الـــفـــصل الـــثـــالـــث 82
فـــقـــه الواقـــع عـــنـــد مـــوسى عليه السلام 82
خروج موسى عليه السلام للمجتمع وفيه تـــجربتان له 83
خروج موسى عليه السلام للمجتمع 83
التجربة الأولى فى حياة موسى عليه السلام 84
التـــجربة الثانية في حياة موسى عليه السلام 88
رحلات موسى عليه السلام 92
الرحلة الأولى 93
الرحلة الثانية 96
الفصل الرابع 96
تثبيت الله تعالى لموسى أمام فرعون 96
كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام 97
الاصطفاء للنبوة والرسالة وما تلاها من أمور 99
تقوية موسى عليه السلام بمعجزتين وفيه مطالب 106
المطلب الأول: تقوية موسى عليه السلام. 106
المطلب الثاني: المعجزتان 107
المطلب الثالث: أهداف المعجزتين 108
موقف فرعون وملائه من موسى عليه السلام وموقفه منهم وتحته مطالب 110
المطلب الأول: الأمر بالتوجه إلى رأس الطغيان 110
المطلب الثاني : مواجهة موسى للسحرة 112
الفصل الخامس 114

الـــمقومات اللازمة لـــمواجهة موسى لفرعون،..... 114
ثـــم الـــمواجهة ونتائجها 114
العلاقة بين شرح الصدر وقوة التفكير 115
المبحث الثاني..... 117
العلاقة بين قوة التفكير والقدرة الكلامية..... 117
المبحث الثالث 118
إعانة هارون لموسى في مواجهة فرعون 118
حوار موسى مع فرعون..... 122
الفصل السادس..... 134
العاقبة الوخيمة لفرعون وملئه..... 134
جهاز الحكم الفرعوني وأهميته ودور السحرة فيه..... 135
تطلع القوم لإظهار الحق بين موسى وسحرة فرعون..... 141
عزم فرعون على قتل موسى وقومه..... 147
العقوبة الإلهية لفرعون وآله 155
الدروس والعبر المستفادة..... 166
من قصة موسى عليه السلام وفرعون..... 166
القلوب بيد الله..... 168
المبحث الثاني..... 174
الإمامة تنال بالصبر والصلاة 174
العلو و الإستكبار في الأرض نهاية مؤلمة..... 180
الدعاء وصدق اللجوء إلى الله منجيان للعبد 188
الخاتمة وفيها النتائج و
المقترحات.....184
المقترحات.....
185
فهرسة المصادر والمراجع.....

186
فهرس الآيات
القرآنية.....193
فهرس الأحاديث النبوية
الشريفة.....205
فهرس المحتويات.....206